

Handwritten signature or scribble.

الموت

في حضن الياسمين

رواية

ضرغام علاوي

الى وطني

الذي هزته الخراب والخراب

ونسلط به من يكتب الوهات كفن

على من يرسم الحياة بوهه

وطن نشابت فيه أسباب الحياة هو أسباب

الفناء

بصراع غايته ،، البقاء ،،

- الموت في حضن الياسمين

- رواية

- ضرغام علاوي

- الطبعة الاولى ٢٠١٨م

- القياس: ١٤,٥ X ٢١ سم

- عدد الصفحات : ٤١٨

- رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢١٤ لسنة ٢٠١٨م



الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع

جميع حقوق النشر محفوظة ، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب ، أو جزء منه ، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات ، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية ، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع ، دون إذن خطي من المؤلف حصراً

تصميم الغلاف

د. عمر المطلبي

هام : ان جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ، ولا تعبر بالضرورة عن رأي الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة

العراق – بغداد – الجادرية

www.bookstore-mohesr.gov.iq

bookstore.ppt@gmail.com

+9647707808343

رواية



من قال إله في اللاسمرادجِ موسى؟

بعض اللاسمرادجِ بردانية، كعنفاء مخرج من تحت الرماح.

أنهت دكتوراة ياسمين دورتها اليومية وجلست في غرفتها الخاصة في المستشفى الحكومي العام في قسم الأورام، أخرجت علبة السجائر (مارلبورو لايت) وسحبت منه سيجارة وراحت تتأملها وتتحدث معها وهي تنظر بعين العطف عليها:

يا مسكينة ما أشميك بحالي، كلانا نحترق دون مقابل، فأنت تتحولين لدخان وأنا أتحول لرماد بارد وكلانا لا يشعر بنا أحد، ولكن لحسن حضك أن احتراقك خلال دقائق، أما احتراقي فهو منذ سنين والله وحده يعلم كم سألقي على ذلك الاحتراق، لمن لم يقدر يوماً معنى الاحتراق من أجل الآخرين.

وضعت السيجارة بين شفتمها وأشعلتها، وبعد أن سحبت منها
الدخان بقوة مشتاق ملتاع، كمن يستنشق أنفاس حبيبه في
آخر لقاء يجمعهما وهو يعلم أن الفراق آت لا محالة.

حبست الدخان في صدرها فهي تريد أن تستفيد من كل قطراتها
و نيكوتينها حتى لا تذهب تضحية تلك السيجارة المسكينة بلا
فائدة، فهي أكثر من يعرف معنى أن يفني أحدهم نفسه من اجل
أحد آخر.

رن جرس الهاتف فقرأت الاسم فإذا به اسم أبنتها الوحيدة
حنين

ياسمين:

نعم يا حبيبي

حنين:

كيف حالك أمي ؟

ياسمين وهي تنفث دخان سيجارتها:

بخير... طمئنيني عنك

حنين:

أمي استأذنك في مصاحبة زميلتي ندى للمذاكرة معها في منزلهم

ياسمين:

أخاف عليك حبيبي وأبقى قلقة، لكم أن تُذاكروا في شقتنا فلا
أحد يزعجكم.

حنين وهي تضحك وتمازح والدتها:

لا أخفي عليك أمي، هناك حافز لا يتوفر في شقتنا الجميلة،
سيصبحنا والدها للعشاء، ولا أريد أن أفوت هذه الفرصة.

ضحكت ياسمين وقالت:

ولكن عليك الحذر حبيبي وإكمال فروضك أولاً.

حنين:

أي فروض دكتورة أنسيت أني طالبة مرحلة أولى في الجامعة.

ياسمين:

تبقين في نظري صغيرة ولن تكبري أبداً.

حنين:

أنا تربية دكتورة ياسمين فلا تخافي علي.

ياسمين:

لكن لا تتأخري.

حنين:

في العاشرة تماما سأكون في حضنك.

ضحكت ياسمين وقالت:

استمتعي بوقتك قدر ما تستطيعين فنحن لا نتقن ما نتقن ما تتقن العرافات من معرفة القادم، فاستثمري وقتك بالفرح فالحزن قادم لا محالة.

بعد أن انتهى لقاءها الجميل مع اعز صديقاتها وأقربهن إليها، طبعاً مع فنجان القهوة، لأن كليهما يشكلان ثنائياً لا يمكن لدكتورة ياسمين أن تستغني عنهما.

وضعت رأسها على مكتبها البسيط والمتواضع جداً والذي لا يليق بدكتورة بمثل تخصصها الراقى، لكن هي (الإمكانيات) كما يكرر دائماً مسؤول القسم نقلاً عن مدير المستشفى وكأنه ببغاء لا يعرف غير ترديد عبارة المدير المتغطرس.

أغمضت عينها وهي تحاول الاسترخاء للتخلص من تعب العمل،
فالعامل في مستشفى حكومي كبير مثل المستشفى العام مرهق
جدا والذي يصل مراجعيه للمئات يوميا أو قل يتجاوز الألف
أحيانا عملا مضني ويحتاج للكثير من الجهد والتعب.

طرقت الباب الممرضة بطريقة مرعبة وهي تفتحه مباشرة ودون
انتظار الإذن بالدخول وهي تطلب النجدة من الدكتورة ياسمين:

دكتورة... دكتورة... المريض الذي في السرير العاشر يحتضر.

نهضت ياسمين فزعة وراحت مهرولة بين جموع المراجعين
للوقوف على حالة مريضها.

دخلت القاعة التي تحتوي على ستة أسرة تقابلها ستة أخرى
فقد تم حشر الأسرة مع بعض لتسع أكبر عدد ممكن فوجدت
القاعة تغص بالمرضى وذويهم ومرافقيهم ومن جاء يزورهم فهو
منظر يومي معتاد جدا في المستشفيات الحكومية لكن حالة
الدكتورة النفسية وحالة مريضها الجسدية كانتا كافيتين لتعلن
انفجارها بالكل، فصارت تصرخ بالكل:

أخرجوا... أخرجوا لا أريد أحدا هنا إلا المرضى فقط.

أنصعق الجميع من تصرف الدكتورة ياسمين لأن أغلبهم يعرفها جيدا، فهي طيبة كنسمة تهب من جبل قاسيون لتلطف صيف دمشق، ورقمها كجناح فراشة يكفي لمسه فقط لتحويله إلى لا شيء.

صار الجميع يخرج مسرعا وسط صراخها وكلهم ينصاع لأمر تلك الرقيقة، وكأن طاغية أو احد العتاد قد أمرهم بذلك.

وقفت أمام السرير رقم عشرة المتواضع والقديم قدم المستشفى وقد كتبت تلك (العشرة) بخط وكأن من كتبه لم يكتب العربية يوما، وهي تنظر بعين الشفقة إلى الطفل ذي السبع سنوات وهو لا يتمكن من الكلام، لكنه يشكو ما يعاني إلى طبيبته الطيبة بالنظر إلى عينيها مباشرة، ولسان حاله يقول لها:

(أنقذيني يا دكتورة أنقذيني... فجسدي الهزيل لا يقوى على حرب كهذه مع مرض السرطان و براءتي أصغر من أن تقاوم خبثه).

كانتا عيناه تبوحان بالكثير فهن ينتقلن تارة إلى ياسمين، وتارة إلى أمه التي لا تجد إلا الدموع تواسي بها صغيرها، وهو يخبرها انه يخاف ظلمة القبر وأنه لا يقوى على فراقها.

الموند في حضر الياسمين ----- ضريحه كلوي

أغمض الطفل عينيه ودخل في غيبوبة انتهت به بعد ساعات في
تلاجة المستشفى.



الزكريا :

علاج نفسي من ألم الحاضر وخيبته

فتحت ياسمين باب شقتها ودخلت شقتها الواسعة والهادئة الجميلة فاتجهت إلى الحمام لتريح عنها التعب الجسدي الذي ألم بها من جراء عملها المضني.

كان رذاذ الماء المتساقط على رأسها يذكرها بطفولتها وكيف كانت تقف مع أقرانها في مدينتها القريبة من الحدود العراقية (دير الزور)، وهم يتقافزون تحت المطر وكلهم فرح غير آبهين بما سيجلب عليهم ذلك المطر من نزلات برد وما تحمل من حصى في جيوبها، وأقدامهم تضرب بقع الماء المتكون لتطير سعادتهم بتطير قطرات الماء تلك، مختلطة بالماء الساقط على رؤوسهم لتعود لهم سعادة مضاعفة.

كانت تبقى تحت ذاك الرذاذ النازل من (الدش) حتى ترتوي من ذكرياتها الجميلة، وكأنها كانت تشحن بطايرتها النفسية ببعض القوة والأمل بالعودة لطفولتها الجميلة والبريئة لتتخلص من عبئ الموت الذي يرافقها يوما في صراعها مع السرطان بأسلحة متخلفة وأمام عدو لا يرحم ولا يعترف بقواعد الحروب النبيلة.

اتجهت إلى غرفة نومها وهي عارية تماما، وكأنها تجد بذلك التعري شيئا من التخلص من بقايا التصنع بالقوة الذي تفتعله أمام الجميع، إذ طالما تصنعت الصلابة والقوة أمام زملائها ومرضاها حتى أن الكل يحترمها جدا أو ربما حتى يخافها أحيانا أخرى، فقد كانت حازمة حد القسوة مع بعض العاملين وفي نفس الوقت تضطر لتصنع القوة لتعطي دافع قوي لمرضاها الذين يحتضر أكثرهم بسبب مرضهم بالسرطان.

دخلت غرفة نومها وارتمت بجسدها على السرير الكبير والفخم والذي ما زال يحمل من بقايا الماء العالق به وبشعرها الذهبي القصير حتى الكتف.

كانت غرفة ياسمين تحمل ذوق انكليزي البصمة وكأنك تعيش في غرفة الملكة اليزابث، فقد جمعت التحف من السرير حتى أصغر التفاصيل، كان الدولاب الكبير يقف شامخا وكأنه أحد

الحراس الملكيين يحرس ملكته النائمة، بينما السرير وحده من كان له شرف أن يحتضن جسدها الطويل والرشيقي، أما علاقة الملابس فهي تبدو كالمرافقة أو الوصيصة التي تمسك الملابس لسيدتها الملكة.

كان اللون الذهبي طاغيا على كل ما حولها، إلا شرشف السرير فهو أسود اللون ليخلق تباينا رائع، لكنه في الوقت نفسه يعلن الحداد على أمرا ما.

بعد تلك الجلسة النفسية مع نفسها في الحمام، لم تعد تملك ياسمين بعريها التام إلا النوم كي تعيد ترتيب مشاعرها المتداخلة مع بعضها.

بعد نوم عميق كانت الساعة الخامسة عصرا موعداً لـلقاء حميم بينها وبين اعز الأشياء عندها بعد السجارة ألا وهي القهوة.

إذ كان الثلاثة لهما موعد مقدس وشوق للأخر كبير فكانت الإناث الثلاثة (ياسمين والقهوة و السجارة) مثلا يحتذى به

بنوع الصداقة الراقية التي كلها تضحية ولا تحمل ما تحمل
صداقات اليوم من نفاق وكذب.

كانتا الوحيدتين اللاتي تنتشي بهما وكأنها لا تشرب فنجان قهوة
بل كأس نبيذ فرنسي معتق، فقد كانت ياسمين تنذوقها لا
ترتشفها.

فهي والسيجارة والوحيدتان المسموح لهما بملامسة شفقتها
المحرمتان على أي شئ آخر، حتى على زوجها فهما منفصلان
عن بعضهما عاطفيا منذ خمس سنوات تقريبا.

كان المطبخ المحطة الأولى برحلتها بعد أن استفاقت من
نومها، فارتدت (روبها) الأحمر لتستر جسمها العاري تماما
وباشرت بإعداد قهوتها المسائية واتجهت إلى الحمام لتزيح ما بقى
من نوم عالق على وجهها.

أخذت تتأمل ياسمين ملامح وجهها الجميل والرائع، فبياضه
الثلجي أكسبها براءة ملائكية، مع عينين بيضاويتين أضافت لهما
حواجب رفعتا بدقة وإبداع فنان، وأنف صغير مكور من الأمام
ووجنتان رغم أنهما ذابلتان إلا أنهما ما زالتا يحملان الروعة
ذاتهما، وفم مائل للحزن ولكنه يحمل فخامة الإثارة، مع شفيتين
متوسطتين الغلظة، وشامة صعدت فوق الغمازات بسانتيمين،

أضافت لتلك اللوحة الإبداعية المسماة (وجه ياسمين) روعة أخرى، مع الذقن الدائري الذي خطه الصانع بدقة متناهية.



تَبْقَى سَمَائِي سَاهِبَةٌ

حَمِي يَظْهَرُ قَسْرَهَا

هُوَ أَنْتِ

لاحظت ياسمين أن تجعدا صغيرا بدء يظهر أسفل عينيها فسحبت بشرة وجهها مرارا وأعادتها لمكانها لتلاحظ الفرق بين الحاليتين.

همست تحدث نفسها بصوت واطئ مع تنهيدة قوية:

بعد أيام ستتمين الواحدة والأربعين عاما وما قد بدأت ملامح الشيخوخة تظهر في وجهك يا ياسمين.

ضحكت وقالت بصوت أعلى وهي تجيب نفسها:

قد شاخت الروح قبل اليوم بكثير، وتشوهت ملامحها لدرجة أن أحدا ممن كان يعرفني سابقا، لا يمكنه أن يعرف روحي

الكئيبة اليوم، فقد اندثر فيها الفرح وغطى تراب الإهمال كل ملامحها وما الوجه إلا شكل ليميز الناس بعضهم عن بعض ولا اعتقد أن بعض التجاعيد تمنع من أن يتعرف عليّ من حولي أما الأرواح فهي عالم آخر تعرف بسيماء عطرها لا بشكلها.

اتجهت إلى المطبخ وكانت القهوة على وشك النضوج، فليست ياسمين من تترك وجه القهوة يذهب سدى، فهي تحب كل الأشياء التي حولها تكن مثالية، فما بالك بأعز صديقاتها وأقربهن إليها (قهوتها).

كانت للقهوة طقوسها عند (سيدة الوحدة) فالمكان كان منزويا آخر الصالة . عند الممر الذي يؤدي لغرف النوم، فيه منضدة صغيرة جدا طول ضلعها حوالي الستون سنتمتر ذو لون صاجي غامق، تحمل ذوقا راقيا ومعها كرسيان فقط. أحدهما شاغر منذ يوم دخل الشقة، والأخر كانت ياسمين تجلس عليه وحدها، فقد كان هذا المكان هو مكان وحدتها القاسية.

على المنضدة منفضة سجائر بلون الصاج الأسود على شكل حوض وتجلس حوله أربع فانتات من الحوريات، كان أحد مرضاها أهداها إياها قبل وفاته.

جلست ووضعت رجليها فوق بعضهما، فانزلق (الروب) حتى فخذها فأظهر جمال ساقها الرشيقتين والممتلئتين نورا وكأن ستارة المسرح قد فتحت، لتعلن بدء عرض مسرحي راقي، أو أن معرضا للتحف يحتفل بالإعلان عن تحفته النادرة، اتكأت على الجدار الذي خلفها بكل جسمها، فهي تريد تعويض أن تتكى على حضن رجل دافئ يمنحها جرعة من الطمأنينة والأمان، بجدار أصم لا يعرف معنى أن تتكى عليه أنثى بهذا الجمال، كانت تتلذذ باستنشاق دخان سيجارتها وهي مغمضة العينين، وتنفخ ذلك الدخان بهدوء كمن يغازل أنثى.

قدمت لنفسها حبة شكولا مع فنجان قهوة كان منظره متميز جدا حيث كان الذوق انعكاس لشخصية المرء، فما بالك بسيدة الرقة.

كان الفنجان وسيجارتها يتناوبان على لثم شفيتها وكأنهما يتسابقان على تلك القُبَل المتواترة، بهدوء التأمل الذي كانت تعيشه ياسمين.

راحت الذكريات تلعب بعقلها، حيث تراءى لها بيت والدها أو قصرها في (دير الزور) فهو مازال يحتلها بكل وجدانها رغم طول فترة العيش في دمشق بسبب نقل زوجها الدكتور أدهم

إلى العاصمة (دمشق) قبل حوالي العشر سنوات فاضطرت
للنزول إلى رغبة زوجها الطموح، لكنها في الوقت نفسه
تركت كل روحها هناك عالقة بأشجار دير الزور وأراضيها
المنبسطة ومزارعها الواسعة الغناء.

كانت المقارنة بين قصر العائلة وشقتها في دمشق وبين جاراتها في
دير الزور وجاراتها في دمشق عبئا آخر يضاف لمجموع أعبائها
اليومية، فبالرغم من كل ما تبذله من مجهود لتجعل منها
جنة تشبه قصرهم الفخم هناك، إلا أنها كانت تخفق
دائما في بعث الروح في المكان، ليبقى المكان جمادا لا
نبض فيه، فنبض المكان هو أن يشاركك به حبيب يتحول
لبطين القلب وأن تكون أنت الأذنين، فتتناوبان على ضخ
الحب في ذلك المكان، ومن ناحية أخرى نوعية الناس
والمجتمع يفرق كثيرا فالناس في العاصمة وعلاقاتهم العملية
والبرغماتية لا تشبه علاقة الناس التي كانت تعتمد الحب
والتعاون في ارض لا زالت تحمل أخلاق الفطرة السليمة،
فطرة الأرض والعطاء المنبثق منها في كل المواسم،
فكانوا الناس كالأرض بعطائهم يفكرون كيف يكرمون الآخر
قبل أن يكرمهم الآخر.

كان الأثاث منتمى بعناية كبيرة جدا راقٍ ومتميز وكأن من اختاره ذوق انكليزي لا امرأة قادمة من مدينة حدودية.

تلاحظ النظافة حد الهوس فياسمين لا هوايات لها بعد العمل في المستشفى إلا التنظيف في شقتها الجميلة لتخلق منه عالم مثالي، رغم ذلك إلا أنها كان ترى بيت والدها أجمل لأنه يحمل عبق الماضي وروعة الذكريات الجميلة، لذلك كانت كلما زارت بيت العائلة تأخذ منه شيئاً من الذكرى بما فيها ذلك الفنجان الملازم لها يومياً، والذي ترتشف فيه القهوة رغم أنه يحمل على وجهه اثر حادث سقوط نجا منه بأعجوبة.



فقال لها:

أفوهمي لأنتِ وقلبي فاسهرا

أنا وقلبي هنا فاحمرا

أنهت ياسمين جلسة التأمل التي كانت تعيشها وقامت تعد العشاء لزوجها الذي سيعود حوالي الثامنة من عيادته، فهو طبيب أسنان نجح بفتح عيادة له في دمشق وهي من أنجح العيادات الدمشقية والدكتور أدهم رجل في الخمسين من عمره وهو وقور لدرجة أن البسمة تخشى الاقتراب من شفتيه، متسلط وعصبي أغلب الوقت ولا يتكلم مع ياسمين إلا نادرا، حتى أن صباح الخير أو مساء الخير صارت في نظره من الكماليات والمجاملات التي لا داعي لها في البيت.

كان الاختلاف واضحا جدا بين الاثنين، فياسمين تلك المرأة الشغوفة بالشعر والكتابة تحمل من العواطف ما يجعل قلبها يتفجر يوميا بعشرات الخواطر والأشعار تنتهي كلها إلى سلة المهملات وبين دكتور أدهم البرغماتي الشخصية يحسب ما دخل للعائلة وما سيتوفر، طموح جدا ويبدل كل الجهد للتقدم المالي والمادي.

كان الاختلاف بينهما سكين حادة قطعت العلاقة العاطفية بينهما لدرجة أنهما يعيشان في نفس البيت إلا أن كل منهما ينام في غرفة خاصة به، لأن أدهم كان ينام مبكرا عكس ياسمين كانت تحب السهر وتناول الشكولا وطبعا صديقتها المفضلتين السجارة والقهوة لا تفارقانها، وتضيف لهما رواية لتحلو السهرة مع صوت أم كلثوم أو عبد الوهاب، رغم أنها تصحو مبكرة ليومها التالي، وبعد تذمر أدهم من ياسمين انتقلت للنوم في غرفة منفصلة عنه بعد أن اقترح هو ذلك عليها، فاستجابات له مضطرة فقط لإرضائه، مع أن ذلك الفعل كان كالسيف في قلب علاقتهما العاطفية، لينتهي رسميا كل متطلبات وروابط الزواج بينهما.



أحبابي:

كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة في ميزان الروح

في الثامنة وربع دخل الدكتور أدهم فوجد أن ياسمين كانت قد أعدت تقريبا كل شئ على الطاولة المقابلة لباب الدخول فقد كانت بارعة بالتوقيتات وطريقة ترتيب الطعام.

سمع صوت ياسمين من المطبخ يقول:

الحمد لله على السلامة.

أجابها أدهم وقد بدا عليه شدة التعب والإرهاق بل وحتى الضجر من الإجابة:

سلمك الله.

وأتجه إلى الحمام ليغسل يديه.

التقى الاثنان أمام الطاولة حيث كانت تحمل هي آخر صحون العشاء حيث رصت الصحون وما بها لتشكل لوحة رائعة الألوان والأشكال.

سحب أدهم الكرسي واخذ يتناول طعامه دون أية كلمة.

بينما راحت ياسمين تراقبه وهو يأكل منتظرة أن يبادرها بكلمة أعجاب بما أعدته له من مأدبة أن صح التعبير، وبعد لحظات من بدءه بالأكل، راح يدور برأسه يمينا ويسارا، فهتمت ياسمين على الفور أن ما يحتاجه زوجها (كوب ماء).

نهضت مسرعة جالبة كوب ماء وقدمته له.

بعد أن أبعد اللقمة التي كانت تعيق بلعه قال مخاطبا زوجته دون أن ينظر لها فقد راح يكمل تناول عشائه:

أخبرتك ألف مرة أن تضعي الماء على الطاولة تعرفين حاجتي إليه.

قالت ياسمين وهي تبدأ بتناول أول لقمة لها:

تحت أمرك.

شعر أدهم أن زوجته قالت هذه الكلمة بنية الاستهزاء فرمى
الشوكة والسكين وقام من مكانه وهو ينظر لها نظرة غضب
وغادر المكان.

أكملت ياسمين طعامها وبنفس مسدودة، وهي تتمتم:

ذهب كل ما عملت هباء ليتني أعرف ما يرضيه، ويلين قساوته
وطبعه المتصلب هذا، ليته يعلم حجم المجهود الذي يتطلبه
أعداد كل هذا الطعام، وليته يعلم كم تساوي عندي كلمة
(سلمت يداك) لكن للأسف يبدو أن مشاعره قد صدئت وما
عاد قلبه ينبض.

في العاشرة وخمس دقائق دخلت حنين بعد أن فتحت باب
الشقة بنسختها من المفاتيح، واتجهت مباشرة إلى أمها المتواجدة
في المطبخ، واحتضنتها من الخلف بقوة وقد أسندت خدها
الناصع البياض على كتف أمها الرشيق وقالت بطريقة
رومانسية حاملة:

مساء الخير يا حبي.

استجمعت ياسمين كل ما بقي فيها من بقايا أمل بعد تلك
الخبية القاتلة وقالت:

(حي) !!!

الحمد لله أن هناك من لا زال ينطق هذه الكلمة في هذا المنزل
حنين:

وهل هناك أجمل من حب يلون حياتك بألوان قوس قزح.

أغمضت ياسمين عينها وراحت تسترجع أيام الجامعة وما
عاشته من قصة حب عابرة حينها، مع شاب من كلية الطب
وكيف انتهت تلك القصة كحالها من قصص الحب في أمة
العرب فأغلب تلك القصص كانت تموت بين التقاليد تارة
والماديات تارة أخرى، بل إن بعضها تولد ميتة، لكنها تترك غصة
وتحفر بالوجدان أثارها الحزينة.

استدارت ياسمين وضمت أبنيتها الأقصر منها إلى صدرها برقة
من لا يملك شئ من القوة وقالت لها:

حنين... أحفظي قلبك فهو أعلى ما يملك الإنسان، وما أن تهيبه
لأحدهم فأنت في الحقيقة تهيبه كل أمالك في السعادة، فأما أن

يكون كريما فيعيدها لك أضعافاً، أو يكن سارقا فينزحك إياها
للأبد .

حنين:

هل أخذ منك أحدهم سعادتك وتركك بهذا الحزن؟

حاولت كثيرا أن أصنع سعادة أخرى مع أبيك، لكنه لا يملك
قلبا، بل مضخة دم فقط فأكمل بذلك مأساة روعي المحتضرة.

تركت ياسمين أبتها واتجهت إلى غرفتها مباشرة دون أن تترك
فرصة لابنتها أن ترى دمعها الحارة التي أخذت التزلق على
خدها الثلجي الرائع.

أفرغت ياسمين خبيتها تلك على الورق، إذ راحت تحرق الورقة
بحروف إحساسها الحارقة، حاولت النوم لكنها كانت بحاجة
لشيء أكبر من البوح للورق فسقطت دمعة من عينها ساخنة
جدا بسخونة ما تشعر به من اختناق وغربة في بيت كان من
المفروض أن يكون مملكتها، ومقر أمانها وراحتها النفسية.



المرأة تكبر بعمرها فقط

أما حواطفها تبقى مخضنة وطرية

لأنها تبقى طفلة من الداخل ومحتاج للرعاية

نهضت ياسمين في التاسعة صباحا من يوم الجمعة وهي متعبة
جدا إذ لم تنم ليلتها السابقة إلا في الخامسة صباحا، واتجهت
إلى المطبخ لتعد الفطور لكنها فوجئت بزوجها قد ارتدى بدلته
الرسمية وهو بهم بالخروج فقالت له متسائلة:

إلى أين تذهب بهذا الوقت واليوم جمعة ؟

أدهم وهو يكمل لف ربطة عنقه:

سأقابل مجموعة من الأصدقاء اتفقنا أن نقضي نهارنا معا
اليوم.

ياسمين متعجبة!!!

لكنك لم تفعلها من قبل ولم اعرف أن لك صديق، فجأة يظهر
لك أصدقاء!!!

بعد أن رمقها أدهم بنظرة استهزاء أعاد نظره إلى المرأة وراح
يكمل تأنقه وأجابها:

في المرة القادمة سأقدم لك قائمة بالأشخاص الذين أعرفهم.

أجابت ياسمين وهي محاولة أن تخفف من احتقان زوجها:

العفو: سؤالي كان دليل اهتمامي بك لا التحقيق معك، تذكر أنني
مازلت شريكة حياتك وأحتاج أن تقضي بعض وقتك معي ومع
أبنتك.

أدهم ودون أن يلتفت لياسمين:

وهل أنا اقصر بشئ.

ياسمين:

أنت تقصر بأهم شئ (العاطفة).

أدهم:

(العاطفة) وضحك ساخرا، مالك تتكلمين كالمراهقين.

ياسمين وقد بدء الانفعال يسيطر عليها:

أما زلت تعتقد أن لك قلب ينبض.

استدار أدهم ووضع عينه بعينها وقال:

ربما الآن بدء ينبض.

ياسمين وقد تزاخمت في وجهها علامات الاستغراب والاستفهام

ما تقصد بـ (الآن بدأ ينبض)؟

أبتسم أدهم بسملة كلها خبث وهو يريد استفزازها.

نظرت ياسمين في عيني أدهم مباشرة وكلها حنق على ما قاله لها

وبعد لحظات من الصمت قالت بألم واضح:

ليت كل رجل يولد امرأة ويعيش امرأة ويموت كامرأة، وبعد ذلك

يولد من جديد رجلا، كي يعرف ما تعاني المرأة من رجل لا يتقن

فهم أنثاه مثلك يا رجل الحجارة.

انسحبت ياسمين من المكان وقالت:

أشك أن يملك شخصا مثلك قلبا.

شعرت ياسمين بيد قاسية تمسكها من ذراعها و تديرها بكلها

أدهم وهو يلفظ كل حرف بقوة:

سأستريح قريبا من كل سخافتك: أعدك بذلك.

دفع أدهم زوجته وأتجه لباب الشقة وأغلقها بعده.

جلست ياسمين على الكرسي التابع لطاولة الطعام وراحت تبكي

وحدتها وتصرفات زوجها الغير مبررة معها، وكيف أتلف

باستهتاره نهار الجمعة.



اللع :

امرأة لا فكر في حياة كل رجل

طُرقت الباب بسرعة وبطريقة نغم مميز فقفز قلب الحاجة أم
ضياء قبل أن تقفز هي لفتح الباب، وكأن القادم مفارقة له منذ
دهور.

فتحت الباب فاحتضنت حبيبها وولدها ضياء فقبلها من رأسها
ويدها راحت تقبله وتشمه فلأمهات العراق قبله تختلف عن باقي
الأمهات، فهن يشمن أبناءهن شما مع القبلة وتقول:

(أفيش يا ريحة هلي) وتقصد بها أن رائحة الحبيب تنعش القلب
وتروي الروح من عطش الفراق.

ضحك ضياء وهو يقبل رأس أمه ثانية وهو يقول:
وكانني مفارق لك منذ عشر سنين نحن لم نفترق إلا قبل خمس
ساعات يا أمي.

قالت والدته وهي تعيد تقبيله وتقول فراقك ولو دقيقة يوجع قلبي يا ولدي الحبيب.

لم يكن ضياء وحيداً بل كان ضمن ثلاثة أولاد وبنات آخرين. لكنه الوحيد الذي ما زال يعيش مع والدته رغم أنه أكبر الجميع فقد تزوج أخوته وأخواته كلهم، وأسسوا بيوتهم الخاصة بهم .

ضيء شاب في السادسة والثلاثين وسيم أسمر اللون ذو ملامح شرقية عراقية يعمل مدرساً للرسم في إحدى مدارس بغداد.

يعشق الكتابة والخاطرة كما يتقن الرسم ولطالما أبدع بالرسم بالكلمات كما يبدع الرسم بالفرشاة.

قرأ للكثيرين وتأثر بكلمات وإحساس نزار قباني وشعره سهل المفردة عميق الإحساس. كان يجمع كتاباته في دفتر وهو ينوي طبعها في مجموعة شعرية.

بعد أن أكمل غسل وجهه ويديه جلس على منضدة الطعام الموضوعية في المطبخ الكبير للبيت، حيث كانت مساحة ذلك المطبخ ستة أمتار في خمسة أمتار أخرى، لأن النساء في العراق يعشقن المطبخ الكبير ويؤثنه بدواليب كثيرة فمعيار السيدة الجيدة في العراق هو مقدار ما تملك من أواني ومعدات

مطبخية (معيار الأمهات) أما فتيات الجيل الجديد فلهن رأي آخر طبعا.

جلس ضياء على الكرسي وهو يسحب نفسا عميقا من أنفه وقال وهو يبتسم بفرح:

(الباميا) مع الرز: صح؟

كانت الحاجة أم ضياء تغرف الرز (العنبر) العراقي الساخن ومنظر البخار المتصاعد منه وحده يكفي لجعل النفس تشتهيها فأجابته وهي تدير وجهها وتتجه إليه، الباميا مع ضلوع الغنم لا تليق إلا لأفواه الغاليين.

قال ضياء ممازحا أمه:

أنت تتلفين ما أعمل من حمية غذائية، فأنا أريد الحفاظ على وسامتي كي لا ابدوا في السادسة والثلاثين.

الحاجة أم ضياء:

وهل هناك على الأرض من هو أكثر منك وسامة يا نور عيني

ضياء:

لأنك تنظرين لي بعين الأم لذلك أنا بنظرك الأجل.

الحاجة أم ضياء وهي تضحك:

أذن أعيد صحن الرز ما دامت الباميا لم تسكب بعد ولتنفعلك
حميتك.

ضياء:

بعد أن زقزقت عصافير بطني حد أنها بلغت الحلقوم، لا أعتقد
أن فكرة الحمية عادت مجددة هاتي أتلف حميتي أكراما لروعة
طبخك.

وضعت ثريد الباميا أمامه بصحن كبير وقد وضعت أضلاع
اللحم بمنظر شهبي جدا.

جلست الحاجة تراقب أبنها وهو يطلق عبارات الإعجاب بطعم
الطبخ وهي كلها فرح وسعادة وتدعو له بقلبيها.
(اللهم أحفظه لي فهو عيني التي أرى بها).

كانت رائحة الشاي المنكه بالهيل أخذت تحل محل رائحة الباميا
تدريجيا، فللشاي في العراق أهمية كبيرة بعد الوجبات الدسمة،
وللهيل قصة حب مع العراقي وشايه الرائع.

جلس ضياء أمام التلفاز لكي يتابع آخر الأخبار حول الوضع المأساوي في البلد، فقد ضرب زلزال الطائفية كل بغداد الجميلة فخرّب ملامحها الخضراء، والغنية بالروائع من نصب فنية وتحف معمارية حيث كانت الساحات تملؤها النصب الفنية ذات الطابع العربي، وتشمخ رموز الشعراء والعلماء والفرسان والقادة في جميع ساحاتها، لتحولها الطائفية المقيتة إلى صفراء شاحبة، وجعل ليلها العامر بالناس والأضواء، إلى ليال موحشة كالصحراء، و لكأنك لا تصدق أن شارع أبو نؤاس هنا ولا كورنيش الأعظمية مولوداً على ضفاف دجلة الخير، لا شئ إلا أشباح الموت تتخطف الأرواح.

أدار ضياء القناة وحولها لإحدى القنوات التي تقدم الأغاني القديمة والتي تحمل بين حروفها حبا فطريا وبوحا شاعريا جميل، فاندمج مع أغنية نجاة الصغيرة (أرجع إلي) وخصوصا أنها من كلمات نزار قباني.

في هذا الوقت مباشرة وصلت الحاجة أم ضياء وهي تحمل الشاي لضياء بكوبه المخصص له وهو على شكل برج العذراء لأنه من مواليد ذلك البرج، إذ طالما اظهر اعتزازه بهذا البرج لما يحمل من رومانسية طاغية.

قالت الحاجة أم ضياء:

لما حولت القناة يا ولدي كانت الأخبار مهمة جدا.

ضياء:

الأخبار لا تحمل غير الموت وقد عرفناه يوميا يدور بيننا، اتركى بعض المتنفس للروح التي أنهكتها أخباره اللعينة، إني لأعجب كيف لهذه القنوات التسابق في نقل أخبار موتى هذه الطائفة على حساب طائفة أخرى، وكأني بها أراها تأجج الوضع المشتعل هو أصلا، بدل أن تساهم بتوعية الناس وتثقيفهم وطنيا وإنسانيا.

الحاجة أم ضياء:

نعم: لكن لا بد من معرفة ما يحصل.

ضياء:

لسنا سوى بيادق شطرنج يتلاعب بها الكبار، أمي لا نملك قرارا أو اختيارا، نحن ننتظر دورنا بالموت لا أكثر، أسمعني وردة الجزائرية وهي تغني، (قد إلي فات من عمري بحبك، وقد إلي جاي

من عمري بحبك). وكانت أغنية نجاة قد انتهت وبدأت وردة
الجزائرية تغني بعدها.

ضحكت الحاجة وقالت:

من يسمعك يقول أنك سيد من سادة الحب، ولا يعرف أنك
بلغت السادسة والثلاثون ولم تتزوج، وكأن فتيات بغداد و
حسنائتها كلهن ما حركن حسك أو شعورك، ولا حتى أثرن فيك
يوما حافظ الذكورة.

ضياء وقد اخفض رأسه وأخذ ينطق حروفا كالجمر:

تعرفين جيدا إن حب مراهقتي قد المني وفقاً عيني قلبي، فما عاد
يرى بعد تلك الفتاة المتميزة امرأة تليق بأن تسكن فيه، ويرفض
أن يصاحب قلبا آخر.

الحاجة:

يا ولدي كل شئ قسمة ونصيب والفتاة متزوجة وأصبح أبنها
يدرس في الإعدادية، وأنت مازلت بلا زوجة حتى، فما الذي
تنتظره بري عليك.

ضياء وهو يسند ظهره للأريكة:

أنا أحتاج لامرأة من نوع خاص، لامرأة تجمع شتات الروح
وتلملم أجزاءها المتشظية.

بلهجة الأم المحبة وبطريقة الخضوع للحبيب:

يا ولدي متى وأين ستجد هذه المرأة وأنت الآن في السادسة
والثلاثين.

ضياء وهو يحول الجدية لمزح:

عرفت الآن أن الباميا وثريدها كيف يضران بمستقبلي العائلي.

ضحكت الحاجة من قلبها وقبلته وقالت:

أجل عرفت الآن: معك حق.

ضياء:

أنا مازلت في عنفوان الشباب يا غاليتي.

الحاجة أم ضياء:

أخاف أن توافيني منيتي وأنا مازلت غير مطمئنة عليك.

قفز ضياء وجثا تحت ركبتي والدته وقبل يديها بسيل من القبل

ثم وضع رأسه على حجرها واخذ يتلو كلمات استرسل بها:

يا من حمها بركة

سحابة العواطف أنتي

روحي ارض لها عطشه

فداك ألف روح مثل روحي

قالت الحاجة:

(أسم الله عليك حبيبي) جعل الله يومي قبل يومك.

ضياء وقد ارتسمت بسمه كلها محبة وهو يتطلع بوجه أمه وكأنه

يتفحص تقاسيم وجهها وتجاعيدها:

سأملأ البيت أطفالا: أعدك.



نحن نخرج نأرمخا وحمضارة

نحن نترنم وطننا

فأبى لاسمراة ولأبى نترنم

انقطعت تلك الصورة الإنسانية الراقية بصوت صراخ في الشارع وكأن من يصرخ في البيت لا في الشارع.

نهض ضياء فزعا وهو يهيم بالخروج ليرى ما لذي يحصل خارج المنزل، فأمسكت والدته يده بكتلتا يديها وهي تصرخ:

لا تخرج يا بني فالوضع في الخارج مخيف جدا والمسلحين الخارجين عن القانون يملئون المكان، وهم كالغربان بملابسهم السود، يختطفون الأرواح الطيبة.

ضياء:

أرجوك يا أمي هناك صراخ كبير يجب علي الخروج.

لم تفلح الحاجة أم ضياء بمنع أبنها من الخروج فرغم حبه وتقديره الشديدان لها، إلا أن نخوته كانت أكبر من أن ينصاع لأمر أمه المسكينة التي ما فتئت تصرخ به.

فتح الباب بسرعة وإذا بمسلحين حوالي الأربعة وهم يقتادون ابن الجيران البالغ من العمر أربعة عشر عاما ويحاولون إدخاله السيارة وهو يرفض ذلك بقوة ويقاومهم بكل ما أوتي من قوة استجمعها، بينما بقي اثنان يمنعان أمه وأخواته من إنقاذه وسط برائن المسلحين فلم يجدن إلا الصراخ بعد أن يئسن من إنقاذه بقوتهن الجسدية.

دون شعور وجد ضياء نفسه في وسط المجموعة وهو يحاول سحب الصبي منهم وهم مستغربون جدا من تجرؤ هذا الرجل، فقد تعودوا على فعل أي شئ دون أي رادع أو حتى نظرة امتعاض.

صرخ أحد المسلحين وهو قائد المجموعة:

(لا تتدخل في الموضوع يا أستاذ).

شعر ضياء ببعض القوة بعد أن خاطبه المسؤول بـ (أستاذ)، لأنه أصبح متيقن أنه أحد تلامذته يوما ما، لكن أيعقل أن قائد المسلحين بهذا العمر الصغير، فهو على ما يبدو من جسمه أنه صغير نسبيا فهو لم يبلغ العشرين بعد.

بدأ يعلو صوت ضياء وهو يؤنب المسلحين ويقول:

هو مجرد طفل في الثاني متوسط وعمره لم يتجاوز الرابعة عشر عاما، ومن المستحيل أن يكون قد قام بفعل يؤدي أحدا.

أجابه قائد المسلحين وهو يبرر له أخذ الصبي:

لكن أباه فعل الكثير، ولأن أباه هرب منا فنحن نأخذ ابنه بدلا عنه.

ضياء:

أما سمعتم قول الله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أم إنكم كما قال سبحانه (تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض).

عاد ضياء للغة اللين:

أرجوكم هو طفل ليس إلا، اتركوه لحال سبيله ألا يهزكم صراخ
أمه وأخواته، اتركوه أرجوكم .

قال قائد المجموعة يخاطب باقي المسلحين وقد تأثر بما قال
ضياء :

لنعود غدا علنا نجد أباه.

فرد عليه أحدهم غاضبا:

وكيف سيأتي أباه بعد أن عرف أننا نطلبه؟ أنت تخالف أوامر
الشيخ، والشيخ قال أن لم تجدوا الأب احضروا الصبي أو
أحدى نساء البيت كرهينة حتى يسلم الأب نفسه.

بعد لحظات من التردد وتبادل النظرات بين القائد وباقي
مجموعته وبين القائد وضياء، حدث أن ظهرت أول عربة من
رتل لدورية للجيش الأمريكي، فأضطر المسلحين التراجع فورا
دون تفكير.

جلس ضياء على الأرض وهو يمسك بالصبي بقوة رغم رحيل
المسلحين، إلا أنه لم يصدق بعد أنه أنقذ صبي الجيران.

اندفعت الأم وأخوات الصبي يقبلن الصبي ويشكرن ضياء.

فقال ضياء بصوت يملؤه الخوف والإعياء مخاطبا زوجة جاره:

أهربوا الآن وبسرعة فأنا متيقن من عودتهم وعن قريب، فهؤلاء
لا يرحمون من يقع عليه أمر القتل.

كررت الأم الهلعة جملتها كالمجنونة:

نعم الآن حالا: الآن حالا: الآن حالا.

أخذت أبنها وبناتها وبعد أن جمعت أوراقهم الثبوتية وبعض
مدخراتهم من المال والمصوغات الذهبية خرجوا وهم يركضون
للوصل إلى أقرب نقطة عسكرية تابعة للقوات الأمنية
العراقية، كي يتمكنوا من ركوب سيارة تقلهم لأحد الأقارب
البعيدين عن هذا المكان.



المورج الحقيقي:

أما نغفر الثقة بمن نحب والأقرب المقربين

مدت الحاجة أم ضياء يدها لولدها ضياء لتنهضه وهي تلطم على
خدها بيدها الثانية وتقول:

يا ويلي ما لذي فعلته يا ولدي سيقتلونك هؤلاء السفلة.

نهض ضياء وعلى محياه ابتسامة قلقة وهو ينظر في عيني أمه
وقال ساخرا:

ما رأيك بابنك الشجاع ؟

الحاجة أم ضياء بلهجة عراقية:

(والنعم منك بطل ابن بطل) لكن أنهض قبل أن يعودوا.

ضحك ضياء طويلا وهو ينفذ التراب الذي على مؤخرته.

بعد حوالي ربع ساعة من دخولهم البيت رن جرس الهاتف
النقال الخاص بضيء فلطمت الحاجة وجهها، وكان يوم القيامة
قد أعلنته تلك الرنة للهاتف.

أخذ الهاتف ضياء وقرأ الاسم فتهد وعاد الدم لوجهه بعد أن
تجمد للحظات وقال يا أمي لا تخافي هذا عمر صديقي.

أجاب بطريقة ساخرة وهو يحاول أخفاء ارتعابه أمام أمه
وصديقه أيضا:

(نعم يا صديقي الغالي اشتقت لك)

تغيرت الابتسامة الزائفة التي رسمها ضياء إلى وجوم في لحظات
والحاجة تراقب ذلك التحول بدقة، ونبضها يتصاعد بانتظار
أن يتكلم أبنا ويفصح عما غير وجهه بهذا الشكل.

أنزل ضياء الهاتف ببطء وعيناه تملؤهما الحيرة.

قالت الحاجة بصوت كله رعب وبظهر مُنحن وكان الجبال كلها
صار فوقه:

قل يا ولدي ما قاله لك عمر حتى اظلم وجهك كأرض غطاها
سحاب مظلم في لحظات.

بعد ثوان من الصمت طرقت الباب بقوة وأحدهم يصرخ
بصوت عالٍ:

أفتح الباب... أفتح الباب بسرعة.

كان هول المفاجأة كبيراً على الحاجة فعادت تلطم وجهها ثانية.

كان طرق الباب مربعاً لدرجة أن الحاجة حضنت ولدها ضياء
وتمسكت به بشدة، كمن يعرف انه سيفقد اعز ما يملك بعد
لحظات.

تكرر الصوت بقوة وأكثر حدة:

افتح الباب بسرعة أيها الأحمق.

كانت مفردة (الأحمق) كلمة يتميز بها عمر صديق ضياء وزميله
في المدرسة بل يمكن وصفه بالأخ الوفي له.

استعاد ضياء بعضا من تركيزه بعد سماعه تلك المفردة
(الأحمق) حيث أن المفردة وللمرة الأولى تأتي بفائدة، منذ أن بدء
عمر ينادي بها صديقه.

قال ضياء لوالدته:

هو عمر يا أمي لا تخافي.

الحاجة:

وكيف عرفت ؟

ضياء:

هو صديقي يا أمي وأعرف صوته.

الحاجة:

لكن الطرق هذا مرعب وليس كما يطرق الباب عمر دائما، فقد
كان يعزف على الباب لا يطرق.

ضياء:

سأفتح الباب.

الحاجة:

أرجوك يا بني أسمع كلامي هذه المرة أرجوك، نهتك بان لا تخرج قبلها وخرجت، ونحن الآن بمصيبة لا نعرف أين ستنتهي. ضياء وهو يتقدم خطوة وأمه تسحبه من يده فيعود لمكانه.

الحاجة:

أو ليس عمر من الطائفة الأخرى، ونحن نرى اليوم العجب، حتى صار العراقي يقتل أخيه العراقي دون أن يعرف هو نفسه السبب، فقط لان من يرتدون العمائم يأمرتهم بقتل الأخر لا لشيء فقط لأنهم ينتمون لطائفة لم يختاروها، بل ولدوا وهم على تلك الطائفة.

ضياء:

مستحيل، عمر أخي ولن يفعل إلا ما يصب في مصلحتي.

علا الصوت أكثر وزاد الطرق وبطريقة مجنونة وسمع الاثنان عمر

وهو يصرخ :

أفتح الباب أيها الأحمق وإلا سأكسره.

الحاجة أم ضياء:

أسمعت؟

هو يريد بك شرا سأتصل بأخوتك فوراً كي يفزعوا لنا
لمناصرتنا.

في نفس اللحظة رن هاتف ضياء ولكن هول ما فيه ضياء جعله
يترك أمر الهاتف، بينما أخذت الحاجة تتصل بابها الأوسط
ظافر، وهي تقول:

يارب سترك... يا رب سترك

لكن هاتف ظافر كان مشغولاً بمكالمة أخرى

التفت ضياء إلى هاتفه بعد أن رن للمرة الثانية فأخذه ليقرأ
الاسم فإذا هو (ظافر) نفسه التي تحاول والدته الاتصال به..

فتح الخط وأجابه بصوت محبط ومرعوب:

نعم يا أخي.

دون سلام أو أي كلام صرخ ظافر بأخيه ضياء:

هل انتم مجانيين؟ : افتحوا الباب لعمر بسرعة ما الذي
تنتظروه.

ضياء:

وما أدراك أن عمر يطرق الباب؟

ظافر:

أفتح الباب فقط يا أخي بسرعة.



الصراقة الحقيفة

حب وانتماء ونضحية بالروح من أجل الصديق

أتجه ضياء للباب ليفتحه وسط ذهول الحاجة التي كانت مرتبكة وهي تعيد الاتصال ب(ظافر) للمرة الرابعة.

فتح الباب ضياء وهو لا يعرف ما الذي يجري.

دخل عمر البيت وهو يلهث وقال لضياء:

كم أحقق أنت أيها الغبي عشر دقائق حتى تفتح الباب؟

ضياء وهو مندهش:

لما تطرق الباب بهذه الطريقة؟

عمر:

أحضر أوراقك الرسمية وملابسك بسرعة.

حضنت الحاجة أبها من خاصرته وهي تقول:

(خير يا بني).

عمر:

صدر أمر باعتقالك ومحاكمتك شرعيا، ومعنى ذلك (الموت)
فهم لا يعرفون غير القتل والحرق والتدمير.

ضياء:

ولكن ما ذنبي يا رجل؟

عمر:

لأنك منعت المسلحين من أخذ الصبي ووقفت بوجههم،
وأنت تعرف معنى ذلك وما يترتب عليه من عقوبة.

لطمت الحاجة وجهها وقالت:

يا ويلي هذا ما توقعته والذي كنت أخشاه.

ضياء:

أنا فقط طلبت منهم أن يتركوه وقائدهم استجاب لي.

عمر:

قائدهم هو من أبلغني بأن عليك أن تترك المكان الآن، أرجوك
بسرعة اترك كل شئ فقط احضر جوازك وأوراقك الآن
علينا إخراجك قبل مجيئ المسلحين.

ضياء لن أغانر المكان دون والدتي.

عمر:

هيا أذن أسرع أمانا دقائق لمغادرة المكان، ليتك فتحت الباب
أيها الأحمق قبل الآن لما أضعنا هذه الدقائق الثمينة.

بعد دقائق كان الثلاثة يهمون بالخروج من منزلهم ذو الممر
الطويل، لكن عمر لمح من بعيد سيارات المسلحين وهي تظهر
من أول الشارع، فعاد الثلاثة للبيت مسرعين، اقترح عمر
القفز على الجيران والهرب من الجهة الأخرى.

ضياء:

وأمي كيف ستقفز.

عمر:

هم يطلبوك أنت لا أمك.

الحاجة وهي تترجى أبنها:

أرجوك يا بني أذهب مع عمر بسرعة.

ضياء مستحيل يا غالية أن أتركك.

صرخت الحاجة بطريقة لم يعرفها بها من قبل ضياء:

أذهب الآن أيها الأحمق بسرعة.

ضياء:

سيقتلونك يا أمي إن لم يجدوني.

وتحولت لحالة الترجي بلحظة أرجوك يا ضياء أهرب الآن، أن
قتلوك ستموت بعدك روجي في اليوم ألف مرة، أرجوك لا
تدعمهم يقتلون روجي بقتلك، أنقذني بإنقاذك لنفسك.

وقفت ثلاث سيارات أمام الدار الكبير وبدء المسلحين بالترجل،
فأخذ عمر يسحب ضياء رغما عنه.

كانت عيني ضياء لا تفارق عيني أمه التي كانت تشبعان النظر
بابنها، فربما لن تراه بعد الآن، كان نظرا الاثنان يتعانقان

تعويضاً عن العناق بالأذرع، إذ لم يسمح القدر لتلك المرأة من
حضر ابنها حين الوداع.

قفز الاثنان على سطح الجيران و راحا يطرقان الباب
الخارجي لسطح الجيران الواقع خلف دارهم .

فقال ضياء:

لما لا نطرق باب جيراننا المتجاور لنا ؟ فأنا أعرفهم جيداً.

فقال عمر:

يا أحمق أنا أريد الجيران الذين خلفكم بغية الهرب من
الزقاق الآخر الذي هو خلف بيتكم.

أما المسلحين فأنهم اقتحموا البيت وهم يبحثون عن ضياء.

ضياء كان لا يريد الهرب فقلبه وكل جوارحه مع أمه لكن إلحاح
عمر عليه وجره بقوة وتوسلات أمه إليه جعلته يرضخ لذلك
الحل، فكل لحظة كان يريد العودة وتسليم نفسه للمسلحين،
خوفاً من انتقامهم من والدته عندما لا يجدونه فقلبه
المحب وغيرته العالية توجي له بالعودة.

وقف قائد المسلحين أمام الحاجة وقال لها بنبرة حازمة وعينيه التي راحتا تمارسان الإرهاب ضد تلك المرأة المسكينة المتمزقة الكبد، الخائفة مما كل ما يحيط بها:

أين ابنك يا امرأة ؟

لم تتعود الحاجة أم ضياء الكذب، لذلك ضلت صامتة كي تبحث عن جواب تسمح لابنها أكبر قدر من الوقت للهرب، لكن هول الموقف وخوفها على أبنها ونظرات الرجل المرعبة، كلها كانت عوامل تتحالف على إمساك لسانها، بل أن عينها تسمرت أمام عيني ذلك الملتحي (قائد المجموعة) وهي تجتاحها كطوفان نوح لا يبقى ولا يذر أي تفكير عندها، فلا تجد إلا الصمت لتلوذ إليه.

أعاد قائد المسلحين السؤال بصوت مرعب هذه المرة، أين ذلك الزنديق أبنك، فلم تحتمل الحاجة أن يصف أبنها وحببها بهذا الوصف فردت عليه:

وما فعل كي تصفه بالزندقة ؟

قائد المسلحين:

ألا يكفي أنه يدرس الأطفال الرسم وهو حرام.

الحاجة أم ضياء:

ومتى كان الرسم حرام يا ولدي، بل هو فن أنساني إذ أن
الشعوب تفتخر وتتباهى بفنانها ومثقفها فهم من يصنع
الحياة والسعادة.

قائد المسلحين:

ويحك يا امرأة أتراك قد تزندقت مثل ولدك؟

استعادت الحاجة وعمها وقررت حماية أبنها بمجارات قائد
المجموعة، فقالت له بصوت مرتجف:

أن كان الرسم ذنب فأعدك أنه يتوب منه، فلم نعرف قبل
الآن أن الرسم حرام.

قائد المسلحين:

والدفاع عن المرتدين والخائنين للإسلام الم يكن يعرفه
أيضا؟

الحاجة وبطريقة المرعوبة:

أبدا واقسم، لم يدافع عن أي ممن تصفهم، ولدي مسالم ولا يتدخل في أي شئ لا يخصه، هو حتى لا يتابع نشرة الأخبار.

في هذه الأثناء كان باقي المسلحين ينبشون كل جزء في البيت

فعادوا إلى قائدهم يخبروه انه لا يوجد أحدا في الدار.

قال القائد هل بحثتم في السطح؟

فقال أحدهم:

لا يا شيخ لم نبحث.

نظر قائد المجموعة بعيني الحاجة أم ضياء التي تغيرت ملامحها بعد ذكر السطح، فتأكد أن ذلك المكان هو مخبأ أبنها.

قال القائد مخاطبا الجميع:

عليكم السطح فإنه مختبئ فيه.

هرع الجميع باتجاه السطح وهم يتسابقون للامساك بضياء
للحصول على الأجر من رب السماء بمسك أحد الإنسانين.
سقطت الحاجة مغشيا عليها بعد سماع القائد يأمر
جماعته، وغابت عن الوعي، فالموقف كان أكبر من قدرة
احتمالها.



تبارك:

أمنهم المورج حرفة والقفل هو لاية

كان الجيران مترددين جدا بفتح الباب لكن توسلات عمر لهم فعلت فعلها وفتحوا الباب في اللحظة التي أمر فيها قائد المسلحين بالصعود إلى السطح، وبعد أن دخلوا مباشرة أغلق أحد أبناء الجيران باب السطح.

وصل المسلحين السطح فوجدوا أن السطح فارغ إلا منهم، فراحوا يمشطون أسطح الجيران بالقفز عليها واحدا واحدا فعادوا إلى قائدهم يخبروه ما حصل.

خرج عمر وضياء وهم يركضان من باب الجيران الخارجي والمسلحون لا يعرفون بهم لأنهم خرجوا من الزقاق الآخر.

بعد زقاقان كانت هناك سيارة مركونة بشكل يوحي باستعداده للانطلاق، وبعد أن اقترب الاثنان من تلك السيارة، كان المسلحين قد استداروا من بداية الشارع وهم متجهين باتجاه الاثنين.

تسمر الاثنان بعد ن رأوا السيارات الثلاث وهم كالتماثيل.

لم تكن تلك ثواني عادية عندما يمر الموت من أمامك وأنت بانتظار أن يحصد أحدهم ما بقي من لحظات عمرك بمنجل الظلم، دون أن يمنح لموتك سببا تفتخر به، وأنت تموت كالخروف على يد جزار لا يعرف الرحمة أو الإنسانية، يقتل أخيه الإنسان فقط كي يشبع رغبة الحقد والغل الذي تعتره.

كان عمر أسوء حالا من صاحبه، فقد كان خوفه مضاعفا فبقدر خوفه على نفسه كان يخاف على صديقه وزميل عمله ضياء، وكيف لا وهو يعامله كأخيه الأكبر يهتم به يؤنبه عندما يرتكب حماقة ويشجعه عندما يقوم بعمل يرضيه.

توقفت إطارات السيارات الثلاث أمام الاثنين، وكأن الإطارات تدوس على قلبيهما لا على الإسفلت الذي في الشارع.

نزل قائد المسلحين ذو اللحية الكثة وهو يمشطها بأصابعه،
وراح يجلد الاثنين بنظراته المرعبة دون كلام، وهو
يستنطق ملامحهما المرعوبة .

استدار إلى أحد المثلثين ونظر إليه وسأله:

هل هذا ما نبحت عنه؟

ساد الصمت المكان والكل يترقب القادم من الأحداث.

تيقن ضياء من النهاية بعد أن عرف أن المثلث الذي سأله قائد
المسلحين هو نفسه قائد المجموعة التي أنقذ ضياء منها صبي
الجيران قبل حوالي النصف ساعة.

ظل الاثنان ينظران لبعضهما دون شعور، وكأنهما وحدهما في
الشارع، وليس حولهما أحد.

قال قائد المسلحين وبصوت جهوري مرعب:

مالك مسخت تمثالا، هو أم لا ؟ اجب حالا.

أدار الشاب المثلثم وجهه إلى عمر وراح ينظر إليه بعاطفة غريبة وكأنه يستغفر منه، دون شعور سقطت دمعة من تلك العين الزرقاء الجميلة للشاب، فبادلتها دمعة من عين عمر أيضا المشابهة لها، وكأن العين واحدة والدمعة واحدة، وأن كلام يتبادل بين تلك العينين بلغة لا تفهمها إلا عيني عاشت مع بعضهما.

كرر ذو اللحية الكثة كلامه ولكنه بصرخة وهو يمسك الشاب من ياقته بكلتا يديه:

مالك أيها المجنون، أجبني الآن.

قال الشاب المثلثم بحزم بعد أن استعاد الشعور بالمكان والزمان:
لا، لا، ليس واحدا من هؤلاء.

دفع ذو اللحية الكثة الشاب دفعة أسقطته أرضا وقال متهكما:

أيها الغبي أضعت وقتنا بسبب هبلك وتراخيك، أقسم أن لم أجده اليوم سأقتلك مكانه لتكون عبرة لكل من يتقاعس بأداء أمر الله .

فتح الباب ذو اللحية الكثة وصعد السيارة ذات الدفع الرباعي، فتفافز الباقيين كل إلى سياراته، بينما ظل الشاب المثلث واقفا ينظر للاثنين نظرة حب وندم، فصرخ به رفاقه يستعجلونه، وبعد أن صعد في حوض السيارة الحمل الصغيرة (بيك أب) فانطلقوا جميعا وهم يحاولون اللحاق بسيارة القائد المسرعة.

اتكأ عمر على السيارة بكلتا يديه وراحت دموعه تسقط بكثافة على غطاء محركها، بينما جلس ضياء في الأرض بجانب السيارة.

خرج ظافر من السيارة بعد أن فتح باب السائق وصرخ بهم:

هيا أيها الأحمقان أماننا دقائق قبل أن يعودوا،

لم يلتفت له أحد من الاثنين، فكل منهما دخل غيبوبة وقتية عن هذا العالم الحقيير الذي يعيشانه.

استدار ظافر وأخذ يدفعهما للسيارة دفعا، وبعد ذلك انطلق بسيارته باتجاه مخرج المنطقة هربا من موتا محقق.



فسراء الروح

هل يسمعه من في قلبه صمسم؟

تأخر الوقت ودكتور أدهم لم يعد للشقة، فقد بلغت الساعة العاشرة ليلا وهو متعود أثناء العمل أن يعود في الثامنة، فما بالك واليوم أجازة، وقد خرج من العاشرة صباحا ولم يعد إلى الآن، كان خوف ياسمين يأكل كل ما تقنات به من حنق، كي لا تتنازل وتسال عن زوجها العاق، لكن هميات فقلها الطيب لم يعد يحتمل، فانهارت آخر محاولاتها للتصبر، فأخذت الهاتف وراحت تتصل بالدكتور أدهم لتطمئن عليه كي تمنح نفسها فرصة للحنق عليه من جديد.

أخذت تعيد ياسمين الاتصال بأدهم مرة بعد مرة دون أن يجيب.

خرجت حنين من غرفتها فوجدت أمها تدور جيئة وذهابا،
فاقتربت منها ولاحظت الوجوم على وجهها فسألتها:

أمي ... أهنأك شئ ما؟

ردت ياسمين ووجهها يعطي غير معنى الإجابة.

لا يا بنيتي لا شئ أذهبي وارتاحي.

كررت حنين سؤالها ولسان حالها يقول لم أصدقك يا أمي.

فردت ياسمين بانزعاج كبير:

قلت لك لا شئ اتركيني أرجوك.

فوجئت حنين من عصبية والدتها الحنون فتأكدت أن هناك
خطب ما وأن سبب هذه النوبة العصبية هو والدها، لأنه
الوحيد القادر على جعلها بهذه الحالة من الغضب، فكررت
سؤالها بصيغة ذكية وقالت:

هل والدي في غرفته؟

فوقع السؤال على ياسمين وكأن جبلا سقط عليها من السماء،
فردت دون شعور...

وهل ما أنا فيه إلا إزعاجه المتكرر لي، ليتني أموت وارتاح منه وأريحه مني، ليتني أعرف ما يريد، فقد قدمت كل ما أعرف من كلمات وكل ما أملك من عمر له وهو كما هو لا يطاق بل أنه يزداد تماديا وغيا.

أخذت تدور بوجهها يمينا ويسارا، فعرفت حينئذ أنها تبحث عن علبة سجائرها فهي الوحيدة التي تستوعب غضب ياسمين.

سارت حينئذ إلى علبة السجائر إذ أنها لمحتها أثناء خروجها من غرفتها التي تجاور طاولة الوحدة لياسمين إليها بهدوء وقدمت لها العلبة.

حضنت ياسمين ابنتها بقوة وقالت لها...

كم تحتاج أنوثتي لرجل يعرف احتياجاتي دون أن أبوح بها، ليت أباك يتعلم منك بعض الرجولة التي تملكينها.

سقطت دمعة على كتف حنين المكشوف، فقد كانت ترتدي ثوبا خفيفا مكشوف الكتفين للنوم إلا من خيطين رفيعين كي يحملان الثوب كأنهما أرجوحة معلقة، حيث أن دمعة واحدة تكفي لتشعر ببكاء أمها.

كانت نغمة الرنين الواشية تخبر ياسمين أن أدهم لا يرد عليها،
فتلك النغمة لا تكذب أبداً، مع ذلك كانت تبرر لعقلها الذكي
أن زوجها ربما قد عمل حادثاً وأنه غير قادر على الرد.

قررت أخيراً الاتصال بأهل زوجها للبحث عنه فقد
تجاوزت الساعة الثانية عشر بدقائق خمس، وما أن رفعت
هاتفها إذا بأدهم يدخل الشقة وهو يدندن أغنية عبد الحليم
حافظ (أول مرة تحب يا قلبي) وهو شبه ثمل.

انفجرت ياسمين به قائلة:

معقول: أنت لا تملك حساً بالمسؤولية، كيف تبقى خارج بيتك
لحد الآن دون أن تخبرنا أنك ستأخر.

أدهم:

لا تعكري مزاجي، اتركيني لحالي.

ياسمين:

وما ذنبي وأنا أموت خوفاً عليك، للتو كنت سأتصل بإخوتك
للبحث عنك.

بدا على أدهم الغضب وقال لها:

وهل أنا أول رجل يتأخر، حقا أنتي مجنونة.

ياسمين:

لما لم تجب على اتصالي ؟

أدهم:

لم تكن عندي رغبة بالحديث معك.

ياسمين:

قد فقدت الحس والشعور.

فاستدار أدهم وصفع ياسمين بقوة لدرجة أنها سقطت أرضا.

ساد الصمت للحظات، وياسمين تريد استيعاب ما يحصل فهي

غير مصدقة لما يجري من تصرفات زوجها الاستفزازية، انقطع

الصمت على صوت حنين وهي تركض باتجاه أمها وتصرخ:

أمي: أمي.

حضت حنين أمها وهي تبكي.

رغم سقوط الدمع من عيني ياسمين لكن الناظر يراها لا تبكي، فقد اختزلت مشاعرها وعقلها وجراح روحها في أمرا ما، وكأنها كانت تتخذ قرارا، فنهضت وهي تترنح من هول الضربة واتجهت لغرفة أدهم وفتحت الباب بقوة، كان أدهم قد خلع سترته ليبدأ بخلع ملبسه تباعا ليرتدي ملابس نومه، التفت أدهم لها ولكنه أشاح بوجه مستهزئا بها، وقفت خلفه مباشرة وقالت له بصوت خافت لكنه كان يحمل الحزم كله:

طلقني.

لم يحفل أدهم لما قالت، وكأنه يقول لها أنت بلا فعل.

كررت ياسمين طلبها مرة ثانية، لكن ردة فعل أدهم كما في المرة الأولى جاءت باردة.

فجأة صرخت ياسمين بزوجها طلقني وبصوت رج أرجاء الشقة، لدرجة أن أدهم ارتعب منها، فلم يتصور يوما أن ياسمين الرقيقة والمستميتة لإرضائه أن ترفع صوتها عليه، فما بالك بأن تصرخ به.

بعد لحظات من الدهشة أو قل الصدمة استجمع أدهم تركيزه الذي بعثرته ياسمين بصرختها، وقال:

هل أنت مجنونة ؟

أعادت ياسمين صرختها بوجهه وقالت بصوت ملؤه التحدي و
الإصرار:

طلقني.

مد أدهم يده ليمسكها من كتفها محاولة منه لإسكاتها
باستخدام قوته الجسمانية المتفوق بها عليها، وما أن لامست
يده كتفها إلا وعضت ياسمين يده التي ضربها بها.

كانت حنين خلف الباب وهي تسمع صراخ والدتها لكن الأدب
والتربية التي تلقتها تمنعها من أن تقتحم الغرفة أو أن تفتح
الباب حتى، لكنها ما أن سمعت صراخ ووالدها حتى فتحت
الباب لأنها تأكدت أن أمرا سيئا حصل.

كانت المفاجئة كبيرة عندما وجدت ياسمين ممسكة بكلتا يديها
بيد زوجها وهي تعضها بقوة وزوجها يصرخ من شدة الألم
ويتجاهها لترك يده.

اندفعت حنين إلى أمها وصارت ترجوها أن تترك يد أبيها، دون أن تلتفت لها.

تركت ياسمين يد زوجها بعد أن أشفت غليلها منه وهو مازال يصرخ من شدة الألم وهو لا يصدق ما يحدث له ولزوجته، وكيف انقلبت عليه بلحظة واحدة من اضعف وارق إنسانة إلى وحش كاسر لم يعرفها وخلال عشرون سنة مضت.

جثت ياسمين بركبتها على الأرض وهي تنظر إلى الأسفل وهي تلهث من شدة التعب، فتلك المرأة الرقيقة لم تتعود أن تتصارع مع أنثى فما بالك برجل وتنتصر عليه أيضا، لكن صراعها مع السرطان علمها أن تقاوم بما تستطيع وان تدافع عن كرامتها بأضعف الوسائل.

حضنت حنين أمها وهي تبكي وتقول:

ماما أرجوك ما الذي حصل لك أرجوك كلميني.

بينما أخذ أدهم سترته وخرج من البيت وهو يطلق كل ما يعرف
من عبارات السب والشتم ويتهم زوجته ياسمين بالوحشية.



في الصداقة بمنزج الفرح بالحزن،

بنكهة للابعد طعمها سوى

صديقين تقاسموا روحاً.

وصل كل من ضياء وصديقه عمر إلى بيت أخيه ظافر، نزلوا
ودخلوا البيت مسرعين ووهم يتلفتون.

استقبلتهم زوجة ظافر ندى وهي ترحب بهم وتحمد الله على
سلامتهم، لكن الوجوم كان مخيماً على وجهها، وكأنها تخفي شيئاً
ما.

قال ضياء:

قد تركت هاتفني هناك في منزلنا، أرجوكم اتصلوا بوالدتي
وطمأنوها عني وطمأنوني عنها.

ترددت ندى في الإجابة لكنها أومات إلى ظافر بعينها.

فهم ظافر أن هناك خطبا ما فاستأذن من الاثنان واختلى
بزوجته، وقال لندی:

مالك يا ندى ما الذي تريدين أخباري به بعيدا عن ضياء وعمر.

ندی:

اتصلت بوالدتك ولم تجب على الهاتف، أخشى أن هناك أمرا ما
أصابها؟

ظافر:

لو أخبرتِ ضياء بهذا الأمر سيعود الآن لامي، لأنه سَيُجَنّ عليها
ويذهب كل ما عملنا وما خاطرنا به هباء، أحسنتِ بعدم إخبارك
إياه بهذا الخبر،

ندی:

لكن سيسألني ضياء ومؤكد سيكرر سؤاله لي، وعندها لن
استطيع أن اخفي الأمر لان ذلك سيظهر على ملامحي.

سمع الاثنان صوت ضياء وهو يناديهم:

ظافر: ندى: أين انتم؟

أجاب بتردد نعم يا أخي نحن قادمان.

فوجئ الاثنان أن ضياء داهم المطبخ فزاد الارتباك، ولاحظ
الوجوم في وجه الاثنان، وقرأ على ملامحهما ما يخفيان فقال:

هل حصل شئ لأمي؟

ظافر:

أبدا.

ضياء أعطني هاتفك الآن.

تردد ظافر بإعطاء الهاتف لضياء لكنه سحب الهاتف بقوة من
أخيه واتصل برقم أمه، لكن أحدا لم يجبه، التفت ضياء إلى
أخيه ظافر وندى وقال:

لقد قتلوا أمي.

ظافر:

لا يا أخي مستحيل.

ضياء:

هم يقتلون الأطفال الأبرياء فما بالك بأمي أنا، أو ربما أخذوها
رهينة كما أرادوا فعل ذلك بجيراننا، علي الذهاب وتسليم نفسي
لهم كي يطلقوا سراح أمي.

خرج ضياء مسرعا مارا بعمر صديقه، فصرخ ظافر بعمر:

إياك أن تتركه يخرج هو يريد العودة للمنزل.

قفز عمر وأمسك به فلحق به ظافر، ليمسك الاثنان به وندى
تلطم خدها خوفا على أخي زوجها.

قال عمر صارخا:

انتظر حتى نعرف الخبر أرجوك.

هدأ ضياء بعد أن أيقن أن جسده لن يستطيع مقاومة
قوة عمر الجسمانية ومعه ظافر فقال مترجيا عمر:

يا أخي هي روعي بل أن ألفا من روعي لها فداء، أتقبل أن تضرب
من قبل القتلة أو أن تهان من الأراذل، أترضى لمن تحبك
كابن لها أن تقاد كسبية بيد أراذل ارتضوا أن يقتلوا الناس بلا
ذنب.

فاقلت عمر كماشة يده من ذراعه ودون أن ينطق بكلمة،
فقبل ضياء عمر وهو يبكي وقال له:

أنت أوفى واشرف من عرفت اقدر صنيعك معي وأوصيك
بأمي خيرا أن سلمها الله من محنتها هذه.

أسرع ضياء ليخرج من المنزل، فصاح به عمر دون أن يلتفت
إليه وقال له:

تعال أحضنك فربما لا نلتاك بعد الآن.

استدار ضياء وقبل عمر فتحاضنا بقوة وسط بكاء ظافر
وزوجته .

خرج ضياء مسرعا فما به من خوف يدفعه بقوة، رن
الهاتف فجأة فصرخت ندى، أنها عمتي أم ضياء.

فأسرع عمر خلف ضياء مسرعا بينما راح ظافر يجيب على
اتصال أمه.

صار عمر يركض خلف ضياء ويصرخ:

توقف يا ضياء وعد إلى هنا.

نظر ضياء بمرآة السيارة في اللحظة الأخيرة قبل الاستدارة
للشارع العام، فتوقف فورا ولكنه ظن أن عمر يريد أن
يمنعه من الذهاب، ففكر بالانطلاق مجددا والإفلات من
قبضة عمر، ولكن قبل أن ينطلق بالسيارة لحق به عمر وهو
يلهث ولا يقوى على الكلام.

فبادره ضياء بقوله:

لا تقنعي بأخذك معي.

عمر وهو يحاول أن يستعيد أنفاسه:

والدتك اتصلت.

ضياء:

أهي بخير.

عمر:

لا ادري أنا لحقت بك كي أمنعك من الذهاب.

عاد الاثنان فالتقاهما ظافر وندى وكلهم فرح.

أخذ ضياء الهاتف من ظافر وهو يصرخ:

أمي فداك روجي.

كانت الحاجة على الطرف الآخر من الخط تصرخ أيضا:

الحمد والشكر لك يا ربي لأنك حفظت لي ولدي.

ضياء:

أمي سآتي لأخذك الآن.

الحاجة:

إياك يا ولدي فأنهم يريدون قتلك، أنا سآبات الليلة عند احد
الجيران.

عمر:

أخبر والدتك أني اتصلت بعائلتي وأن أمي و أخي خطاب
سيأتيان بها الآن إلى مدخل منطقتكم هذه فأنت تعرف أن
هذه المنطقة يحكمها مسلحي الطرف الآخر واللذين لا يقلون
قسوة عن اللذين هناك.

ظافر سننتظرهم عند تقاطع الطرق وقرب النقطة العسكرية
فهو المكان الآمن للطرفين.

ضياء:

عمر أنت ستسبب بتدمير عائلتك لو عرف المسلحين بما تعمل.

عمر:

ضريبة الصداقة يا صديقي، فأنت تعرف وفاء العراقي
عندما يصاحب أحدا، يفديه بروحه حد الغباء، يعني كما
افعل الآن أنا.

ضحك الجميع رغم الرعب الذي هم فيه.

بعد ساعتين كان اللقاء حميميا عند النقطة العسكرية بين
ضياء وأمه من جهة وبين أم عمر وعمر من جهة أخرى.

رن هاتف اخو خطاب، فأجاب على الهاتف وبعد لحظات دفعه
إلى عمر وقال له:

هو أخونا الأصغر وقاص

أخذ عمر الهاتف وصارت ملامحه تتحول للوجوم شيئاً فشيئاً،
إلى أن أغلقه وقد ابتلع الخوف كل مظاهر الفرح والراحة التي
كانتا على وجهه.

كانت أم عمر أول السائلين، فلهفة قلب الأم أكبر من احتمال
الانتظار:

خير يا بني، مالك تجهمت بلحظة بعد أن كان وجهك يملؤه الفرح
؟

اطرق رأسه الأرض وقال عمر بصوت محبط:

لقد عرفوا أنني أنا من حذرت ضياء والذي قام بتربيته منهم.

لطمت أم عمر وجهها.

بينما سأل ضياء عمر:

كيف عرفوا ؟

عمر:

لا ادري.

ضياء:

تعال معنا إلى بيت ظافر ودعنا نجد حلا.

قالت أم عمر وهي تحضن أبنها عمر:

كتب على أمهات العراق توديع أبنائهن كل يوم بلا ذنب ارتكبهوه.

استدارت ونظرت إلى الحاجة أم ضياء:

أوصيك بولدي خيرا يا حاجة فهو أمانة في عنقك.

ردت الحاجة وهي تنظر بعين العطف على أم عمر.

أنا فقط من يعرف شعورك كأم يقتلها خوفها على ولدها، فقد كنت أعاني منه قبل دقائق.

حضنت أم عمر الحاجة وراحت تفرغ كل ما في عينها من دموع
وقالت:

سيقتلونه يا حاجة فهم لا يخافون الله.

الحاجة أم ضياء:

الله أكبر من جبروتهم، عمر ملكني بإنقاذه ولدي الحبيب.

ظافر:

لنذهب فقد تأخر الوقت وأنت يا عمر تعال معنا ولنبحث عن
حل فيما بعد.

غادر الجميع كل إلى بيته، بينما حل ضياء ووالدته وعمر ضيوفا
عند ظافر.

لم يستطع عمر النوم فكان يدخل بهم فهو الخاسر الأكبر،
لأنه لن يتمكن من العيش إلا في نصف طائفته من المدينة الذي
بات محرما عليه، بعد أن ساعد شخصا من الطرف الآخر على
الهرب، ولن يمكنه العيش في النصف الآخر من المدينة لأنه
سيبقى من الأعداء رغم ما فعل من إنقاذ ضياء وأمه، فلم
تعد للإنسانية مكان في بلد صار يقوده الموت الأسود.

ضياء:

ارتاح يا صديقي أعدك أن نجد حلا.

عمر:

لا حل إلا السفر يا صديقي.

ضياء:

صدقت.

عمر:

أنا لم اعد أطيق مدينة تأكل أبناءها.

ضياء:

وما ذنب المدينة يا عمر، الذنب ذنب من أحتملها عنوة
وأستباح عذريتها الجميلة، أنا متأكد أنها تبكيننا كما نحن
نبيكينها.

في الصباح وعلى الفطور قال ضياء:

سنسافر أنا و أمي وعمر إلى دمشق.

صعقت الحاجة أم ضياء وقالت لما يا ولدي السفر، تستطيع
نقل عملك إلى هذه المنطقة الآمنة وانتهى الأمر.

ضياء:

مستحيل، قررت السفر وانتهى الأمر.

الحاجة:

وكيف أفارق بغداد وأنا التي لم أغادرها منذ ولدت، أتعرف أنني
لم انم ليلة أمس لأنني كنت أخاف على داري من ظلمة
الليل، وكأن له روح مثلنا لا جماد لا يشعر.

ضياء:

لن اترك عمر وحده يسافر.

نهض عمر وقال له:

لم أطلبك بالسفر معي يا ضياء، فعلت ما فعلت لأنني احترم
الإنسانية فلا تحمل نفسك جميل لست تطبق رده، أمك أولى
مني بالرعاية.

في هذه اللحظة رن هاتف عمر يخبره أخاه انه قرب النقطة
العسكرية وقد أحضر له كل مستمسكاته وأوراقه الثبوتية
وحقيبة بالملابس الخاصة به، وبعض المال الذي يعينه على
العيش حتى يتدبر أمره.



الغربة:

أهبانا أهي نفقر صديقنا لن نسلع نعو رضه

أراد عمر أن لا يمنح ضياء فرصة للتفكير، فقد رتب كل شئ بالخفاء واتفق مع خطاب و وقاص بان يهيئا كل مستلزمات السفر، وأن لا يمنح صديقه وقتا لتهيئة نفسه.

كانت المفاجأة كالصدمة بالنسبة لضياء، فقد احتار بتوصيف هذا الصديق النادر.

حين ضم عمر وضياء بعضهما سالت الدموع وكأن سدا انهار وما عاد للمياه من مانع، تجرد الاثنان من كل تكبر الرجل الشرقي، وخلع الاثنان رداء الكبرياء، فقد صارا يبكيان كطفلين لا رجلين في منتصف الثلاثينيات.

خرج ظافر يوصل عمر، فسأل عمر ضياء:

ألن تقوم بإيصالي؟

ضياء:

وهل أنسى فعلتك هذه التي فعلت، لم أتعودك خائن تعد المكائد
بي، أذهب دون وداع فأنت لا تستحقه.

ضحك عمر واستدار خارجا بعد أن ألقى التحية على
الحاجة وندى كتبها اللتان ما بخلتا بالدمع كالرجال.

أوصل ظافر عمر إلى منطقة التماس وتمنى له التوفيق وشكره
على موقفه النبيل اتجاه أخيه وأمه وأنه لن ينساه ما دام على
قيد الحياة، ومد يده وأخرج مبلغ خمسة آلاف دولار كمعونة
على السفر والغربة وقال له:

هذا مبلغ كبير بالنسبة للعيش في سوريا.

رفض عمر المبلغ وقال:

ما فعلت من فعل هو إيماني بأخوة العراقيين وضياء هو
صديقي وأخي وأخذي هذا المبلغ سينقص من روعة فعلي
لذلك أعتذر جدا يا ظافر، ودعني أفتخر بما فعلت.

ظافر:

لكنك ستخسر وظيفتك، وهذا المبلغ يعينك حتى تجد عملا.

قال عمر كما يقول أغلب العراقيين عند المصائب:

(الله كريم).

أوصل خطاب و وقاص أخاهم إلى منطقة الحافلات المتجهة إلى دمشق، والتي كانت تضم الهارين من كلا الطرفين، فهنا تختفي الطائفية في مفارقة مضحكة ومبكية في نفس الوقت. بعد أن حجوزوا وسط المئات المغادرين يوميا، ودعوا بعضهم بعضا وغادروا تاركين أخاهم وحده يعاني الوحدة والغربة ، والخوف من القادم.

قال عمر محدثا نفسه:

سوء حظي العائر كتب علي الوحدة، حتى المقعد المجاور لي خالي دون الجميع، ما هذه المصادفة السيئة.

أحضر مساعد السائق حقيبة صغيرة ووضعها على الكرسي الشاغر والمجاور لعمر، بينما فتح باب الأمتعة لتوضع أمتعة الشخص الذي سيجلس بجانب عمر.

راح عمر يتخيل من الذي سيجلس بجانبه، شاطحا بخياله نحو فتاة جميلة تجلس بجانبه وتبادلته الحديث طول الطريق، وربما تصبح بينهما علاقة حب تنتهي بزواج، ليسد جوع روحه التواقة لبيت فيه عائلة بعد تلك العائلة المتكونة من خمسة أخوة وخمسة بنات وأم كانت بكل الدنيا.

بينما عمر غارق بحلمه، أذا بجسد رجولي يرمي بكل ثقله على المقعد المجاور له، فتح عمر عينيه من هول المفاجأة وصرخ:

ضياء!!!

ضحك ضياء وقال:

وهل صدقت أيها الأحمق أني أتركك تسافر لوحداك، وهل استغني عنك.

عمر:

وأملك يا صديقي؟

ضياء:

هناك من يعتني بها غيري أما أنت فلا أحد يعتني بك إلا أنا.

عمر:

وكيف أقنعت الحاجة بسفرك وما قلت لها ؟

ضياء ضاحكا:

كما أقنعتك يا سيد عمر لتسمح لي أن اذهب للموت دون أن تمنعني كي أنقذ أُمي.

حضر عمر ضياء واستعاد وجهه ألوانه من جديد، لكنه انب ضياء وقال:

علاقتي بك خسارة دائمة.

ضياء:

يا رجل ! للتو كنت تحضني وتُقْبِلُ بي والآن انقلبت علي.

عمر:

كنت أحلم بفتاة جميلة تجلس بجانبني، حتى وصل الحلم إلى زوجي بها، وصار عندي أطفال منها يملئون حياتي سعادة، فجئت أنت كعادتك تدمر ما أحلم به يا رجل حرام عليك.

ضياء:

الحمد لله أني أنقذتك في اللحظة الأخيرة أيها الأحمق، أي زواج
الآن، نحن لم نتزوج عندما كنا امين ومستقرين، وأنت تريد
الزواج ونحن هارين وملاحقين.

وضع ضياء في حجر عمر كيسا كبيرا وقال له:

أمسك هذا الكيس فيه كل مستلزمات السفر الطويل، فيه
علب ببسي وكيس من المكسرات وفاكهة وبعض قطع الكيك
والبسكويت.

عمر:

أقسم أن السفر معك متعة، كيف كنت بذلك الجنون
لأتركك وأسافر لوحدي، لكن لا أخفي عليك يا صديقي،
مازالت غصة أن تجلس فتاة جميلة بجانبني توجعني.

ركل ضياء عمر برجله وقال:

الحق علي، أتراها كانت ستطعمك كل هذه المكسرات.

عمر:

وكيف خطرت ببالك فكرة كل هذه المأكولات والأطياب.

ضحك ضياء وهو يأخذ كيس المكسرات من يد عمر:

هي الوالدة حفظها الله.

نزل الجميع عند مطعم على الحدود العراقية السورية،
وكانت الغبطة حال عمر وضياء وراحا يلاعبان الصغار من
القافلة، فرن الهاتف الخاص بعمر، فجأة صرخ عمر و بألم:

(لا لا لا)

نهض ضياء وأمسك بصاحبه عمر وقال له:

سلامتك يا أخي أرعبتني.

قال عمر وحسرة قد أتلفت روحه:

لقد قتلوا وقاص يا ضياء.

احتضن ضياء عمر واجتمع الناس يواسونهم على هذا المصاب
الأليم.

انطلقت القافلة بعد نصف ساعة لتواصل طريقها باتجاه سوريا، وعمر مازال يبكي وضيء يصبره على ما أصابه من فقد.

عمر:

حذرتة أن هذا الطريق هو طريق الشر و إن هؤلاء القتلة ليس لهم أمان ولا يمكن الوثوق بهم ؟

قال ضياء مستغربا:

وهل كان يعمل مع المسلحين ؟

عمر:

نعم: هو من التقاك في الشارع يومها.

ضيء:

نعم: الآن عرفت لما ناداني بأستاذ، أنه وقاص يا ربي كيف لم أتعرف عليه.

عمر:

وهو من أخبرني بنية القتلة بالقبض عليك وتصفيتك، وأن علي
اللاحق بك وإنقاذك، فقامت بالاتصال بظافر وأنا أتوجه إليك
كي يهيء لنا سيارة ليقلنا بها.

ضياء:

لكن لم يقتلونه كل ما جرى كان دون علمهم.

عمر:

أنعرف من الشخص الذي طلب منه زعيمهم التعرف عليك؟

ضياء:

مؤكد لا.

عمر:

هو وقاص قد ضحي بروحه من أجلك ، أما لاحظت دمعة تخرج
من عينيه وهو يدعي عدم معرفته بنا، لأنه يعرف تماما أنه
سيدفع حياته ثمنا لتصرفه الإنساني.

ضياء:

يا الله: أتعرف كل هذا ولم تأتِ به معنا إلى سوريا، هل أنت
أحمق يا عمر.

عمر:

طلبت منه المجيء، لكنه قال أنه لو هرب فأنهم سينتقمون من
العائلة كلها، وأن عليه تحمل وزر ارتباطه بهؤلاء القتلة.

ضياء:

كان ممكن أن تغادروا المنطقة كما فعلنا.

عمر:

أنتم غادرتم للطرف الآخر وهو من سيحميكم، أما نحن
سنهرب من جحيم طرفنا لنسقط في بركان طرفكم، معادلة
سخيفة فرضت على أهل بغداد الحضارة، فأني مهزلة نعيش.

ضياء:

كان من الممكن أن يسافروا إلى سوريا كما تفعل أغلب
الأسر العراقية اليوم فقد وصل عددهم في سوريا إلى
الأربعة ملايين عراقيا كما نسمع ويقول البعض.

عمر:

أنت تعرف أن عائلتي كبيرة ونحن بالكاد نعيش على الكفاف، ولا تحتل الميزانية عبي السفر وتكاليفه.

ضياء:

كيف سمحت لأخيك بالانخراط بالمجاميع المسلحة كان عليك منعه من الأول وتنبهه.

عمر:

استغلوا اندفاعه وأقنعوه أنهم يحاربون الاحتلال دفاعا عن العراق لطرد الغزاة، لكنهم في الحقيقة تسلطوا على الناس وكشفوا زيف ادعائاتهم من خلال تصرفاتهم الوحشية، وإثارة النعرات الطائفية بغية تمزيق النسيج الوطني العراقي، إذ لم يسلم من شرهم أي دين أو طائفة أو مذهب، فاتضح نواياهم الخبيثة.

ضياء:

إننا لله وأنا إليه راجعون.

ساد الصمت باقي الطريق وعمر يبكي بصوت مخنوق لان
العراقي يخجل جدا من البكاء أمام الآخرين لأنه يعتبر ذلك
مساسا برجلته،

كان ضياء يعرف حال صديقه لكن الموقف جعل الصمت
هو الحل الوحيد فكل الكلمات صارت تتقزم أمام هذا
الموقف الجلل.

فالموت الأسود ما أن يحل، يحل معه الصمت الأسود.



قد نذوي الروح ونذوب،

وجمها وروة تمنعها بعطر الأمل .

كانت الليلة طويلة جدا على ياسمين، وقد أخذ منها السهر كل نظارة وجهها الرائع، وقد أكثرت من التدخين تضامنا مع احتراق روحها التي أشعلتها الخيبة من شريك الحياة.

رن جرس هاتفها في التاسعة صباحا، وبالكاد بعد عدة مرات ردت عليه، كان المتصل الإدارية في المستشفى تود الاستفسار عنها لتأخرها عن الدوام الرسمي، اعتذرت ياسمين عن القدوم بسبب حالتها المزرية.

أغلقت الهاتف وعادت للغوص بنوم عميق تهرب فيه من كل ما أحاطها من إحباط.

فتحت عينها على صوت حنين وهي تطرق الباب برقة باحثة عنها:

أمي: أمي أيمكنني الدخول ؟

ياسمين وبصوت شبه مبجوح.

تفضلي.

فتحت الباب حنين برقة أيضا ودخلت الغرفة، وكانت صدمتها كبيرة من رائحة السجائر المتعفنة في الأثاث، فتركت الباب مفتوحا، ودخلت وهي تغطي أنفها وتقول:

أتريدين الانتحار يا أمي ؟

واتجهت إلى النافذة مباشرة لتفتحها.

ياسمين وهي تسحب جسدها الأبيض المرمرى وعليه ثوب نوم أسود وشعرها القصير الأشقر لتتكئ على رأس سريرها:

ليتني أمتلك القوة للانتحار.

حنين بعد أن فتحت الشباك وجلست بجانب خاصرة أمها:

وهل الانتحار قوة يا أمي، أنا أراه ضعفا

ياسمين:

الشجاعة أن ترفض ما أنت عليه، عندما يتيقن الإنسان أنه غير قادر على تغيير نفسه ليصبح مثلما يحلم، أو من تغير من حوله يصبحوا كما يتمنى لهم أن يكونوا، هنا يكون القرار يعتمد على الشجاعة، فالشجاع سيختار الموت على أن يتأقلم مع واقع يرفضه بشدة، والجبان هو من سيختار التأقلم مع واقع يرفضه تماما.

حنين:

مع أنني لست على قناعة، إلا أنني لا أجاريك في الكلام،
ولكن يا أمي

كيف لك أن تتحملي كل هذا الإحباط وأنت من تنصحيني
بالاستمتاع قدر ما استطيع في الحياة، كيف حصل هذان
النقيضان.

ياسمين:

ليس دائما ما ننصح به الآخرين هو ما نملكه أو نعمله، فربما هو
ما ينقصنا نحن أو ما نتمنى لو كنا نستطيع فعله.

احتضنت حنين أمها بقوة ووضعت خدها الرائع على صدر
أمها الأروع، وقالت:

أخاف عليك أماه نوبة الحزن والإحباط.

ياسمين:

لا تخافي علي فطالما كان حصادي الإحباط ثمرا لكل عواطفي.

حنين:

أمي أنا استمد منك القوة ولا قوة عندي بعدك.

ياسمين:

وأنا لأجلك سأجاوز كل هذا الأمر، بالمناسبة:لما لم تذهبي
لمدرستك اليوم؟

رفعت حنين رأسها من صدر أمها وقالت:

وكيف أتركك بعد الذي جرى ليلة أمس.

أعادت ياسمين رأس أبنتها إلى صدرها وهي تقبله تقول:

أعدك أن أكون غير التي تعرفين، فذلك الرجل حقبة من حياتي
وانتهت.



اليس الامام محطر الياهمير فوق قاسيو؟

ليياض الياهمير سحر يغلف الازواح المتعبه.

دخل عمر وضياء العاصمة دمشق، وأشرقت بوجهها الرائع
والصباح، كانت دمشق ترتدي أجمل حلتها، وكان الدمشقيون
الميمزون بجمال الوجه والروح كالزهور تتمشى في حديقة
جميلة أسمها دمشق.

راح الاثنان يبحثان عن فندق يقضيان يومهما على أمل
الحصول على شقة يستقران بها، فدخلوا أول فندق وقع نظرهما
عليه.

ارتدى ضياء بكل ملابسه على السرير، فصرخ به عمر:

قم واغتسل وأبدل ملابسك.

ضياء دون أن يكلمه أو يلتفت إليه راح يغط في نوم عميق

عمر يحدث نفسه:

لا أعرف لما اخترت هذا الأحمق كصديق، كيف سيدير
أموره وهو كان مدلل أمه، اعتقد أنني سأخذ دور الحاجة أم
ضياء في دلال هذا الطفل.

استفاق ضياء وهو يتلوى من الجوع، فأخذ يوقظ عمر من
نومه العميق.

عمر:

ضياء أرجوك أحتاج كثيرا للنوم.

ضياء:

أكاد أموت جوعا، لم نأكل منذ أكثر من أربعة وعشرين ساعة

نهض عمر وهو يستغفر ربه:

لا أعرف كيف سأحتمل العيش معك.

ضحك ضياء:

ستكون مدلي.

ضحك عمر ضحكة ساخرة وطويلة وقال:

أنا لا أحلم بذلك حتى.

كان ليل دمشق أروع من صباحها، فقد كان الشبان محرومين من الأضواء والناس التي راحت تملأ الشوارع وكلها فرح وأمان، فقد تعودت عيون العراقيين الدم والقتل والسواد منذ خمس سنوات، فمنذ عام ٢٠٠٣ الذي احتل فيه الجيش الأمريكي العراق وأشاعوا فيه الفوضى الطائفية والعرقية وها نحن في عام ٢٠٠٧ والعراق وصل لذروة الصراع الطائفي، فقد صار الكل يحمل الخطاب المقيت ويتكلم بصيغة (نحن) و(هم)، بينما انزوى المثقف العراقي والوطني وسط قعقعة السلاح الذي يحمله المتخلفون والذين يحملون الفكر الطائفي، وظهرت أقلام تدعي الثقافة، تحرض هذا على هذا وتحل الدم العراقي بأبشع الطرق وأقساها، بحجة المذهب أحيانا والدين أحيانا أخرى.

ضياء:

ما أروع الأمان.

عمر:

الأمان هواء تننفسه الأرواح كي تحيا بسلام وورقي.

ضياء:

أيعقل أن بغداد تلك الفتاة الجميلة ذات الضفيرتين الجميلتين
دجلة والفرات، صارت تحتلها الغريان السود وتنتهك حرمتها،
كيف سمحنا بذلك يا عمر.

عمر:

أي شعب في العالم سيحصل له ما حصل للعراقيين،
فالخونة والاحتلال قادرون على فعل كل شيء وخصوصا أن
شعبنا لا يملك غير الحب سلاحا يواجه به خبث القادمين من
بعيد.

ضياء:

وما سيفعل هذا السلاح الرقيق مع كل خبث هؤلاء
المتكالبين على بلد الطيبين.

عمر:

هو اختبار لنا كشعب عليه الاختيار بين العراق كوطن
وبين المذهب أو الطائفة كانتماء.

ضياء:

اختبار صعب جدا.

عمر:

تاريخنا وعمق بغداد الحضاري على المحك، لدرجة أن
تمثال أبو جعفر المنصور أزعجهم فقاموا بتفجير
متناسين انه مَعلم من معالم بغداد الجميلة، وربما هم لا
يعلمون أن لولا هذا الرجل لما كانت بغداد اليوم وأنه هو من
قام ببنائها.

ضياء:

أراهن أن شعبنا سيتخطى هذه المحنة وسيعود ليل بغداد كما
عهدناه وكما تغنى به أبو نؤاس، وستعود نوارس دجلة تستقبل
الزاحفين إلى شارع المتنبي يوم الجمعة ليمارس كل فنان طقوس
فنه وإبداعه وتنطلق حناجر الشعراء متغنية ببغداد وجمالها.

توجه الاثنان لشراء شريحة للهاتف الخليوي، وبعد ذلك كان أول المتصلين ضياء بوالدته، فكان الحديث ذي شجون، بعدها اتصل عمر بأمه التي لم تترك البكاء على ولدها وقاص وولدها الذي غادرها (عمر) وكانت توصيه خيرا بنفسه.

كان يوما طويلا ومتعب، لكن الشعور بالأمان جعل الاثنين ينامان مهدوء تام ونعم الاثنان بحلم رائع فسحر دمشق لم يقتصر على عيني هذين الشابين، بل أن لخيالهما كان أيضا حصة من ذلك السحر القديم.



بعض نبضٍ قد يصلُ الطريق ..

كحلمي الروح مُتأثمة !

ترددت ياسمين بالإجابة على هاتفها الذي راح يرن في غرفتها أكثر من خمس مرات، لدرجة أنه راح يزعجها ويشتت تركيزها في الفحص لمرضاها، فقد كان أدهم هو المتصل ولم تكن تريد الرد عليه، فقد قررت أن تتجاوز عقدة اسمها الدكتور أدهم.

كان إلحاح أدهم فعلا مؤثرا عليها فاضطرت فتح الخط و الإجابة عليه.

ياسمين:

تفضل.

أدهم:

كيف حالك؟

ياسمين:

أكيد بدونك أفضل.

أدهم:

أمازلت غاضبة؟

ياسمين:

منك لا: لكن من نفسي أكيد غاضبة لأنها تحملت إهاناتك طوال أكثر من تسعة عشر عاما لكن أعدك أني سأتصالح معها قريبا.

أدهم؟

علينا أن نعيد ترتيب حياتنا.

ياسمين:

حياتنا!

ما عاد هناك ما يربطنا معا فقد قطعت باستهتارك السفر بعلاقتنا كل ما كان بيننا من أواصر وعلاقة.

أدهم:

أتريدين الطلاق وأنت في الأربعين؟

ياسمين:

نعم.

أدهم:

اتفقنا أذن سأطلقك.

ياسمين وقد قفزت دمعة من عيناها فور سماعها وكأن الدمعة

كانت تنظر الإذن بالقفز من عيناها:

أعتقد أن طلبي جاء مطابقا لما تريد ويتمنى قلبك.

أدهم:

اووو كل شيء لا يعجبك.

أغلق أدهم السماعه بوجهها وتركها مبعثرة ومحبطة.

عادت ياسمين لشقتها الجميلة، وبعد أن فتحت الباب دخلت غرفتها مباشرة واحتضنت السرير وراحت تفرغ كل ما احتبست من دمع على سريرها الطيب، اعتصرت الشرف بيدها وأخذت تريد تمزيقه لكنها تخفق ثانية فرقتها الأنثوية جعلتها أضعف من أن تمزقه.

دخلت حنين الشقة ولاحظت عدم تواجد أمها في الصالة تشرب قهوتها وتطالع إحدى المجلات لان هذا توقيت قهوتها، فتوجهت إلى غرفة والدتها مباشرة، وبعد أن طرقت بابها بطريقتها الأنيقة والرقيقة، فتحت الباب لتجد أن أمها نائمة بملابس العمل على سريرها الكبير.

كان هذا الفعل كفرا بالقواعد المنزلية الصارمة التي وضعتها ياسمين.

جلست حنين قرب رأس أمها وهي تنظر لها بعين العطف، وضعت يدها على رأسها وراحت تداعب شعرها المبعثر والغير المعتنى به، مدت ياسمين يدها بهدوء وأمسكت بيد حنين وقبلتها ووضعتها تحت خدها وأغمضت عينها، فتبادلتا دور الأم والبنات فوضعت حنين رأسها على رأس أمها الحزينة حد

الصمت، فالصمت يأتي بعد أن ينال اليأس من آخر جيوب
المقاومة لذلك الحزن البربري.

حنين :

الم يتصل بك والدي؟

ياسمين:

ليته لم يتصل.

حنين:

لماذا؟

ياسمين:

اتفقنا عل الطلاق.

رفعت حنين رأسها وقد صدمها قول أمها وقالت:

لم يكن هذا اتفاقي معه.

استدارت بجسمها ياسمين لتستلقي على ظهرها وقالت بعد
تهييدها كأنها الجحيم:

أذن أنتِ من ضغط عليه ليتصل.

حين وهي تحاول تصحيح ما وقعت به من إحراج:

نعم لكنه كان يمتلك النية مسبقا للاتصال بك.

ياسمين وقد نزلت الدمعات وهن يتسابقن على خدها المحمر
احترافا:

كان ينتظر أن اطلب منه الطلاق فوافق على الفور،
وكنت أعتقد أنه سيصاب بالجنون، وسيأتي على الفور
يطلب مني السماح، سيقبل يدي مترجيا أن لا أفارقه، ويبيكي
حين أتمنع وأصر على الطلاق، لكن داخلي تواق لرجعته،
أيعقل أن يكون بهذه الخسة، لا أصدق كيف لم اكتشف
حقيقته طوال العشرين عاما.

لم تجد حين أي كلام تدافع به عن أبيها فقد عانت هي
الأخرى الكثير لتقنعه بالاتصال بوالدتها، وكانت على يقين
انه لا يريد الاستمرار معها كزوجة.

في تمام الحادية عشر صباحا وقفت ياسمين وأدهم أمام
قاضي الأحوال الشخصية، ليعلن القاضي طلاقهما بعد

اتفاق الطرفين وما لمسه من إصرار كبير من الاثنين على الطلاق.

استقبلتهما حنين في باب المحكمة إذ أنها لم تتحمل الدخول مكان يعلن فيه تدمير عائلتها الصغيرة بقرار قاضي يطلق رصاصة الرحمة، لتندفع باتجاه أمها وتجهش بالبكاء دون النظر لأبيها القاسي، الذي لم يشعرها يوماً أنه أب يهتم لها أو لمصيرها أو لصورتها أمام الناس، راحت تنظر إليه بكُره وهي تعلم أنه الوحيد بين الثلاثة من كان يرغب في الطلاق والسعي له.

كان سلم المحكمة آخر مكان يجمع ياسمين وابنتها مع زوجها أدهم.



كَيْفَ لِمَا فَارِحَ لَهَا تُحْمَرُ؟

وَكَيْفَ لِلحَمْسِ أَلَّا يَكُونَ بِلِسَاءٍ؟

راح عمر يفيق ضياء من نومه، لكن ضياء كان مصابا بحمى وأعراض أنفلونزا، فقرر عمر أن يُعِدَّ الفطور هو اليوم، إذ كانا متفقين أن الفطور يُعَدَّ من قبل واحد منهما كل يوم.

وبعد وضع الصينية وهي تحتوي على البيض و القشطة والجبن وكوبان من الشاي، أعاد إيقاظ ضياء وهو يقول...

أخبر أمك أن خدمتي لك كانت خمسة نجوم واني قد ملأت مكانها في دلالك أو ربما تفوقت عليها برعايتك، فقد عانيت خلال الخمسة شهور التي مضت معك وأنا في سوريا ما لم أعاني بكل سنوات عمري الثلاثة والثلاثون عاما.

نهض ضياء متثاقلا وأجاب صديقه...

لو تعرف كم اشتاق لامي، فرائحتها ووجهها لا يفارقان
ذاكرتي، أعان الله قلبها كيف تحتمل فراق.

عمر...

لا ذكريات مع الطعام، كل فقط وإلا سأتصل بالحاجة وأخبرها
بمرضك.

ضياء ضاحكا...

لا أرجوك إلا هذه، أكل وأنا الممنون.

بعد لقمتين ترك ضياء الطعام، فكرر عمر مطالبته بالأكل وإلا:

ضياء...

أرجوك يا صديق الروح فأن رغبتني في الطعام معدومة، ربما أكل
بعد ساعة أو اثنتين.

حمل عمر الصينية وراح يغسل الصحون قال:

سنزور (المشفى) اليوم.

ضحك ضياء وقال...

أراك استبدلت (المستشفى) ب(مشفى) ما أسرع تكييفك يا
صديقي.

عمر وهو يضحك...

ما ألد لهجة سوريا وما أطيب أهلها، أقسم أني لا اشعر
بالغربة هنا وكأني في بغداد الحبيبة، لدرجة أني صرت
متيقنا أن بغداد ودمشق توأمان ولدتا من رحم واحد.

ضياء...

قلي يأكلي عليك يا بغداد.

سقطت دمعة ساخنة من عين ضياء، تعلن أن الدمع صار
رفيقا للعراقي أينما حل.

كان عمر قد أنهى غسل الصحون وترتيبها وأثناء عودته إلى
الصالة حيث يجلس ضياء فلمح الدمعة النازلة من عين ضياء
فامتلاً حزناً.

فأمسك ضياء من كتفه وقال مواسيا له...

يا أخي لا يصح إلا ما كان صحيحا وما يمر ببغداد الآن هي
عاصفة صفراء تحمل كل تراب الحقد لمن يبغض بغداد ويغار

من عمقها الثقافي والإنساني وتاريخها الحضاري بعدها ستشرق
شمس الحق جلياً، حتى تعمي كل من أراد بها شراً فمهما
بلغت كثافة الغيمة إلا أنها تبقى مجرد غيمة، ولا بد لشمس
الحق أن تمزقها لتعلن نصر شعب أحب أرضه واستمات في
الدفاع عن هويته ومواطنته.

ضياء وهو يمسخ دمعة أخرى...

تاريخ بلد يكتب يا صديقي في صحف سود توثق قتلنا لبعضنا،
بعد أن كنا نحارب معا في خندق واحد ضد المعتدين على
العراق لتبقى هذه السابقة الخطيرة وصمة عار في جبين شعب
كان الكل يصفه بالصامد، تكتبه أقلام صفراء بدماء أخوتنا
وأبنائنا وأبائنا.

عمر:

لا تفكر يا صديقي كثيرا، المهم عندنا الآن صحتك وان تشفى
كي نحضى بوقت ممتع.

ضياء وهو يمسخ دمعة ثالثة ألحت بالخروج ويسحب نفسا
عميقا بعد أن ارتاحت روحه بذرف الدمع من العين:

يا صديقي أنا بخير لا تشغل فكرك فقط أنا مشتاق للوالدة.

عمر...

حفظها الله لك وحفظك لها.

هيا قم لنذهب للمشفى.

ضياء..

سبق وأخبرتكم لن اذهب.

عمر:

أتذكر وصية والدتك لي بان أركاك كأنما هي من ترعاك ووصيتها
لك بالطاعة لي.

ضياء...

نعم اذكر ولن اخلف وصية ست الكل ولست ممن يحنث
بوعده يا صديقي.

كان الطريق كله أشجارا وأناس رائعي المنظر، فقد كانت أعين
عمر وضياء قد تعودت السلام في دمشق، ونسيت منظر القتل
اليومي في بغداد.

بعد أكثر من ساعتين أخيرا وصل الدور لضياء وعمر وأذن لهما بالدخول إلى طبيب الباطنية.

كان الدكتور وسيما تبدو عليه مظاهر الأنافة ذي خلق طيب، استقبل الاثنين وهو واقف رغم أن ملامح التعب كانت تبدو عليه واضحة من إرهاق العمل.

بعد أن استمع الدكتور خالد لشرح لما يعاني منه ضياء قام بفحص رقبته من تحت أذنه اليسرى وصولا إلى أذنه اليمنى. جلس دكتور خالد على كرسيه بعد أن أنهى فحصه وقد بانته عليه ملامح القلق، واخذ يسأل ضياء عن عمله والأماكن التي زارها، وتاريخ الأمراض في العائلة، وهل شارك في حرب الخليج في ١٩٩١ والحرب الأخيرة في ٢٠٠٣ فأجاب ضياء: بنعم: قد شاركت في حرب عام ١٩٩١.

حينها طلب الدكتور خالد مجموعة تحاليل وقال أن ضياء عليه أجراؤها بعد أن كتبها على ورقة صغيرة وورقة أخرى للفحص بالموجات فوق صوتية (السونار) وأنهى الحديث بعبارة:

(أن شاء الله كل شئ سيكون على ما يرام)

سأل عمر الدكتور خالد...

(هل هناك شئ مقلق دكتور) ؟

الدكتور خالد...

اعمل التحاليل لتتضح الصورة .

بعد ساعتين كانت التحاليل على مكتب الدكتور ويجلس أمامه
عمر وهو يراقب بدقة ملامحه ، فهو يريد قراءة الخبر من عيونه
قبل أن تنطق شفاته الخبر.

بينما كان ضياء يقف جاهدا أمام النافذة المطلة على دمشق
الرائعة وهو يحاول أن يرتوي منها كي يطفى عطشه لبغداد.

فهم عمر من ملامح دكتور خالد انه يريد أن يقول شئ
لكنه لا يعرف من أين البداية.

فقال عمر مخاطبا إياه...

أهناك ما تريد قوله يا دكتور قل لا تخف فنحن امة آدمنت
الخبية وصارت تعيش الألم بكل مفرداته، أرجوك أخبرنا
ما تعرف فقد قتلتنا بصمتك المخيف، وملامحك القلقة.

رفع الدكتور عينيه ووجه نظره صوب ضياء الذي مازال يشبع
ناظريه من جمال دمشق وكأن المريض شخص آخر وكل
الحديث الذي يجري لا يعنيه.

أكمل دورة نظره باتجاه صديقه عمر الذي وصل حد الاختناق
وهو يتوسل فم الدكتور للنطق بحكم القدير على هذا الشاب
المسكين وغير المحظوظ وقال...

مازال الأمر غير مؤكد ولكن علينا الاستعداد للأسوأ مع أني
أتمنى من صميم قلبي أن أكون مخطئا في تشخيصي.

كل ما تقول نتائج التحليلات أن جسمك يعاني من التهاب
شديد أو ربما تحملُ ورما.

عمر وهو يفتح نار أسئلته على دكتور خالد...

أهو ورم؟

أين؟

لماذا ؟

كيف ؟

ومن أين جاء هذا الورم اللعين ؟

دكتور خالد...

بصراحة لا اعرف وهذا ليس تخصصي هناك قسم خاص
بالأورام في المستشفى سأحيلكم إليه واكرر لك ربما مجرد
التهاب قوي فقط، لان المعطيات تتشابه أحيانا في التحاليل.

مر الليل طويلا على عمر ولم يكن البكاء بعيدا عنه، فقد
انهمرت دموع ذلك الصديق المخلص طوال اليوم، دخل ضياء
الغرفة وعمر يمارس طقوس حداده من بكاء صامت، وهو
جالس على سريره وقد لامست رجلاه الأرض وهو مسند
كوعيه على ركبتيه، وكانت يديه تحملان رأسه ووجهه للأرض.

أقترب ضياء من عمر وحضن رأسه التي لامست بطنه
مطوقا إياه بيديه، وراح يداعب شعر صديقه الخشن، وقال
بصوت ساخر...

أتراهن بأنك لن تكون أصلعا يوما.

ضحك عمر رغم كل محاولاته للتصبر.

ضياء...

لما أنت حزين يا صديقي ؟

عمر...

حزين؟:أنا موجوع يا صاحبي، وكل ما بي من خلايا
الإحساس تعاني من التهاب فيرس الحزن الموجه.

ضياء...

ويحك كل هذا بسبب موتي أنا؟

أنا أصلا لا انوي الذهاب للمستشفى.

عمر:

موتك يعني موت جزء كبير من حياتي، فأنت أخي وصديق
الطفولة زميل مقاعد الدرس ومستودع سري، وأنت الوحيد
الذي أخبرته عندما لاعب الحب سنابل قلبي، و أول من

شاركته سعادتني بلقاء حبيبتي، و أول من فكرت أن أبكي
أمامه لفقدائها.

ضياء...

ستجد غيري رفيقا، فأنا أعرف أن من مثلك يتمنى صحبتته
كل إنسان راقى وشريف.

عمر...

أنت منذ طفولتي مرأتي التي طالما طالعت وجهي من
خلالها، وروحي التي طالما تحدثت معها، وضميري الذي كان
يعيدني لجادة الصواب كلما خرجت عنه دون قصد.

ضحك عمر ساخرا و أكمل...

تقول ستجد غيري!

علي إيجاد الطفولة وسعادتها والمراهقة وشقاوتها والشباب
وعنفوانه والنضوج وروعته، علي إيجاد تاريخ كامل، بل
علي أن أجد نفسي أنا بين الناس.



أنتظرُك بسجورِ عابِرٍ

صليبةُ أمنيّة اللقَاءِ ؛

وجدت ياسمين أنها بحاجة كبيرة لسيجارة تعيد ترتيب أعصابها وتمنحها بعض السكينة، فسألت سكرتيرتها أن كان هناك مراجع آخر، فأجابت السكرتيرة أن الجميع قد غادر ولم يبقى أحد، فطلبت من السكرتيرة أن تحظر لها فنجان قهوة أن أمكنها ذلك.

بعد أن تأكدت ياسمين أن لا أحد سيزعجها بلقائها برفيقتها الغالية أشعلت سيجارتها، حيث كان للقاء بينهما والقهوة طقس مقدس، وبعد أن استنشقت نفس أو نفسين أحست بأمان كبير اخذ يسري فيها.

وصل ضياء وعمر المستشفى، وكان عمر يسأل الكل أين قسم السرطان وضياء غير مبال بما يحدث، إلى أن وصل إلى غرفة الدكتورة ياسمين، وكان الوقت متأخراً حوالي الواحدة بعد الظهر.

نظر عمر حوله وهو يبحث عن ضياء الذي كان متخلفا عنه بعشرة أمتار، فأشار له بيده بقوة (تعال) وكأن يديه كانت تصرخ ولا تشير له.

وقبل أن يصل صاحبه قفز عمر وأمسكه من يده وصار يسحبه بقوة.

طرق عمر الباب فجاء الصوت من الداخل:

أدخل

دفع عمر ضياء أمامه ودخل بعده فكانت هناك مفاجأة بانتظارهما.

كانت تعتقد ياسمين أن من دخل هو السكرتيرة لذلك لم تنظر لمن دخل، حيث وضعت قدميها على المكتب لتريحهما من التعب بعد أن أصبحت بجانبه وراحت تغمض عينيها وتستمتع بسيجارتها، كان لمنظر ساقها الطويلتين وهي ترتدي الجينز، وشعرها الأشقر الملامس كتفها وجمال الوجه لوحة رائعة جعلت ضياء في حالة من اللاوعي عن كل ما حوله، شعر عمر بالإحراج فقد عرف أنهم دخلوا الغرفة دون استئذان السكرتيرة وان الطيبة في لحظة راحتها، فتأهت منه كل الكلمات التي يبدأ بها الحديث، بقي الاثنان صامتين ولكن كل له أسبابه.

ضياء مفتون بجمالها وعمر خجول من تصرفهم المحرج.

قالت ياسمين وهي مغمضة العينين، وقد أرخت رأسها على رأس الكرسي ذي الظهر المرتفع:

أتعبتك معي يا لى، ضعيفا وشكرا لك.

ضل الاثنان صامتين فقد زاد كلام ياسمين وصوتها الرائع ذهولهما ودهشتها.

طُرق الباب فقالت ياسمين قلت لك ادخلي يا لى، وهي
مغمضة العينين وتقول ساخرة:

يبدو أني جننت كنت اكلم نفسي والمرأة لم تدخل بعد..

دخلت لى الغرفة ففوجئت بالرجلين يقفان فيها فقالت لهما...

عفوا سادتي كيف دخلتما إلى هنا ؟

كان كلام السكرتيرة كالصاعقة على ياسمين، ففتحت
عينها بسرعة فوجدت رَجُلين وسيمين يتوسطان الغرفة
ويقفان أمامها. فأنزلت رجليها من المكتب ورمت سيجارتها في
المنفضة، وقالت:

عفوا من أنتما وما تريدان ؟

أصيب عمر بالخرس لأنه شعر بالإحراج الشديد.

أما ضياء فانه تقدم وجلس على الكرسي الذي يجلس عليه
المراجعين وقال بصوت ملؤه السعادة:

أنا مريض.

ياسمين...

أليس من المفروض أن تستأذن السكرتيرة قبل الدخول.

ضياء...

لولا دخولنا بلا استئذان لما تمتعنا بلوحة الاسترخاء دكتورة.

شعرت ياسمين بالحرج وبما تجيب ذلك المتطفل فأثرت

الصمت.

كاد عمر أن يغمى عليه من كلام صاحبه الأحمق، وكم تمنى

حينها ضربه على رأسه ونعته بألف أحمق معا.

أكمل ضياء كلامه بعد انقطاع قليل...

أتعرفين دكتورة كنت أعتقد أن معشر الأطباء بشر مثلنا تماما.

قالت ياسمين مستفهمة من ضياء بعد أن نظرت إليه بعينيها

الواسعتين...

نعم!

ضياء:

لكنني عرفت الآن أن البعض ملائكة يتخفون بشكل بشر.

كانت نظرة ياسمين بعينين مفتوحتين رائعة بتلقائية وبراعة
ودهشة.

بعد أن صمت ضياء قليلا قال للدكتورة ياسمين التي تنتظر
توضيحا...

أتعرفين أنهما تحفتان على وجه كالقمر .

زاد جواب ضياء ياسمين حيرة فقالت...

ومن هما يا سيدي؟

ضياء...

عيناك.

لم تجد ياسمين ما ترد به على ضياء، فقد كانت الدهشة أكبر
من احتمال ياسمين العاجزة عاطفيا أمام غزل من شاب وسيم.

قطع دهشتها قول ضياء للسكرتيرة وهو يؤشر لها بيده...

قدمي القهوة للدكتورة قبل أن تبرد، فبعض الأشياء تفقد قيمتها حين تبرد، لأننا نحتاجها ساخنة كي تذيب جليد قلوبنا المتراكم.

وضعت السكرتيرة القهوة على المكتب وهي تنظر إلى الدكتورة ياسمين وقد أصابتها الصدمة بهذا الرجل، وهي تحاول الاستفهام منها هل أبقى أم أخرج كحال باقي المرضى.

كل هذا وعمر واقف كالصنم لا ينطق بحرف واحد كحال السكرتيرة، فقد استغرب كيف انقلب حال ضياء في لحظة.

قال ضياء للدكتورة التي مازالت تحاول استعادة توازنها ولترتب أفكارها لتجاوز عامل الخجل الذي انتابها من تصرفها أولاً ومن جرأة هذا الرجل ثانية.

هل ستكونين أنت طبييتي ؟

وهل أنت مريض ؟

ضياء...

غربة.. فقد.. تهجير.. وبعض من الخلايا السرطانية وأشياء
أخرى.

كانت دهشة ياسمين تزداد بهذا الشاب أكبر، وهو كالملاك
المحترف يكيل لها الكلمات لا للكلمات الواحدة تلو الأخرى.
فأحست أن الضربة القاضية قريبة أن لم تعدل ستراتيجيتها
الكلامية في الحديث معه.

قالت ياسمين...

وما الأشياء الأخرى.

ضياء...

تلك أشياء لا يستطيع أي طبيب أن يعالجها.

ياسمين وهي تنقاد إلى حديثه وحبل حلاوته يجرها دون شعور
منها.

أعتقد أن الطب تقدم في العالم ولم يعد هناك مرض إلا
ويمكن الشفاء منه، أخبرني وأنا أدلك على من يعالجك.

ضياء...

الشوق لها وللذة تقبيل يدها، تلك النظرة التي تنظر بحب لي
كشلال يغسل كل همومي، والشفاه التي لا تمل من تقبيلي، مع
شمه كبيرة وهي تقول:

(أفيش يا ريحة هلي).

هزت ياسمين رأسها مستعلمة عن ما قاله وكررت بعده...

(أفيش يا ريحة هلي)؟

ضياء...

ليس بالضروري أن تفهمها، بعض الأشياء تبقى أجمل بغموضها

ياسمين:

ومن قال لك أنني لا أفهم معناها، أنا أصلاً من دير الزور ونحن
نتكلم في الأصل اللهجة الدورية والتي هي أقرب للعراقية
وبالأخص غرب العراق.

ضياء:

في العراق هناك عشق خاص لسوريا وأهلها، وبعد
احتضان سوريا العراقيين الهاربين من نار الطائفية صار حبنا
لكم مضاعف.



تغلغل في سراييني

ونبضي طربو

يسرني إليس !

وجدت ياسمين نفسها غارقة بالحديث مع هذا الشاب أكثر وأكثر، فهو يحمل عمقا في المضمون، وحلاوة في الكلام، وخصوصا أنه لامس ما تعانيه روحها الطيبة من فقد واغتراب، لذلك وجدت نفسها تسال ضياء...

أيعقل أن في الرجال من يصف حبيبته بكل تلك الصفات وأنتم أهل الغدر والخيانة ؟
ضياء...

يا نساء أمتي لا تطلبن من ذكر بسيط مواقف رجل عظيم، فتصبن بفائرس الخيبة والتهاب الإحباط.

لذلك عليكن التمييز بين الذكر والرجل، فالذكور يملؤون الأرض، أما الرجال فهم قلة.

سحبت ياسمين نفسا عميقا وأطلقته، وأرخت ظهرها على الكرسي، وزفرت ذلك النفس بحرقه حيث لامست كلمات ضياء قلبها المذبوح بيد زوجها السابق، والذي كان من المفروض أن يكون حاميا ورجلها الذي تختبئ في حضنه عند حاجتها له.

قالت ياسمين...

بعض الخيارات تحتاج خبرة خمسين عاما، وتعرض علينا ونحن في العشرينات من عمرنا ، فتكون الغلبة للحظ لا للخبرة، فمن كان يحظ سيئ عليه أن يجاهد للاستمرار مع العقوبة القدرية الظالمة.

استدركت ياسمين نفسها وهي تحكي عن حالها ومعاناتها لرجل غريب، فقررت نقل الكرة إلى ملعب ضياء الذي ما فارقت عيناه وجه ياسمين البالغ الجمال فقالت له...

وهل أنت تحب حبيبتك بقدر جمال كلماتك عنها أم انك كباقي الذكور؟

برقت عينا ضياء وكأن تجمعا للدمع يريد الخروج في
تظاهرة تأييدا لتحالف العواطف والشوق، لكن ضياء يقمعه
بشدة دكتاتور وأجاب...

أحبها ؟

أنا بها أتلاشى.

راسي لا ينتهي إلا لصدرها.

حضرها مصدر قوتي.

رائحتها عطري.

قربها جنتي.

بعدها فجيعتي.

أنا بها أتماهى واندمج.

هي ارضي وموطني.

شهق ضياء الهواء بقوة فلم يستطع تحمل زحام المشاعر التي
احتقنت في حنجرته، وتدافع الدمع بغزارة على بوابة عينيه،
وقال بصوت بالكٍ...

(كم اشتاق لك يا حبيبي)

نهضت ياسمين من كرسيها واستدارات لتقف أمامه مباشرة،
وهي لا تعرف ما تفعل لهذا الرجل الجالس أمامها، فقد فاق
الأمر أي تصور تملكه فهذه الحالة أغرب الحالات التي رآها أو
مرت بها.

دون شعور منها مدت يدها تداعب شعره وتربت على كتفه
وتصبره بعد أن اخفض رأسه ليخفي الدموع المتدفقة من عينه
بغزارة.

جلست ياسمين على الكرسي الذي أمامه مباشرة وأخذت
علبة السجائر وقدمت له سيجارة.

فرد ضياء بيده لا بلسانه (لا أريد).

كان احتياج روح ياسمين كبير إلى سيجارة لكن وجود الغربيين كان يمنعها، فأعدت السيجارة للعبة وكل ياسمين صار يشتهي تلك السيجارة العائدة للعبة، بل أن السيجارة نفسها كانت تشتهي الانتحار بين شفتي ياسمين حينها.

قالت ياسمين:

الخصام والفرق بين العاشقين وارد ونهايته الصلح للقلوب تصرفات لا تخضع للمنطق.

أعدت ياسمين النظر لعبة السجائر وهي تحاول منع نفسها من إخراج سيجارة واستنشاق دخانها.

قال ضياء:

كيف والأيام تأخذنا والأقدار لا لعبة لها إلا نحن.

ياسمين...

صدقت بما قلت يا.....؟ بالمناسبة... ما أسمك؟

ضياء:

أنا؟ من باسمه يُعلنُ الصباح مقدمه.

و أمزق ستائر الظلام

أنهي تسلط الجان على البشر

وأمنح الملائكة كل المكان.

فتحت ياسمين فمها وعينها إعجابا بنسج حروف ذلك الشاب
فقالته له...

أي أسم هذا ليفعل كل ذلك؟

ضياء...

أولم تعرفيه؟

ياسمين وهي تمازحه مع ابتسامة روحية قبل الابتسامة التي
علت شفقتها:

لم يسبق لي الشرف سيدي.

ضياء مكملأ أحجيته:

أنا من به انهي مأساة الشوق

وأكن طيبيا لقلوب العاشقين التي ارقها الحنين.

بلسم يداوي ارواحهم.

ويعطيهم هدنة للبدء بليلة تفتت أخرى.

على محراب الشوق والانتظار.

ياسمين وقد أخذتها الدهشة بحلاوة حديث هذا الرجل والغريب
الأطوار. وكيف جمع كل نقاط الإعجاب هذه في وقت قصير لا
يتعدى الدقائق، على حساب نقاط استسلامها له وملتعة حديثه:
أيعقل أن هناك أسما بهذه المواصفات؟ ربما أسمك مجلد
كامل.

كانت الابتسامة التي بدأت تحتل محل الدهشة والحيرة تمنح
عيني ياسمين ألقا زادهما روعة مضاعفة، وضاعف لشفيتها
جمالها، فصار جمالها الرياني يشرق أكثر وأكثر واحمرار
وجها يمتزج ببياض وجهها، وكأن الفجر والغروب اجتماعا في
وجهها.

أجابه ضياء الذي اندمج بالحديث أكثر:

أسمي ارتبط منذ الأزل بالبلابل بعلاقة حب كبيرة انتهت
برباط مقدس، وجعل فيروز الناطق الرسمي عنه، فما أن
يظهر حتى تشتهي الناس سماع فيروز مع قهوة الصباح.

ياسمين وهي تؤشر بأصبعها وتقفز من مكانها وكأنها حلت
السؤال الأخير في برنامج (من سيربح المليون).

أسمك (صباح) صح غلبتك وعرفت اللغز.

لم يبق لياسمين إلا الرقص فرحاً، بعد أن منحها ضياء
فرصة للاحتفال المؤقت.

كان ضياء يراقب تلك الياسمينة الدمشقية وهي تتعري
أمامه بطفولتها المكبوتة في امرأة وقورة.

فرد عليها بعد أن منحها دقيقة من الفرح:

سأخبرك به عندما أزورك في المرة القادمة.

جلست ياسمين على الكرسي المقابل له وهي تحمل خيبة طفلة
صغيرة، لكن الشوق لمعرفة اسمه أنقذ روحها التي أدمنت
الخيبة .

قالت ياسمين...

الم أغلبك؟

ضياء ولن تغلبيني أبدا يوما.

نهض ضياء من مكانه وأتجه إلى الباب وسط دهشة روح
ياسمين وعقلها، واستدار إليها بوجهه. وقال مخاطبا إياها...

لكن بإمكانك أن تريحيني إن شئت.

كل هذا الحديث وعمر على حاله واقفا كالصنم لا يحرك
ساكناً وهو مذهول من تصرف صديقه وجراته.

فتح ضياء الباب وامسك بعمر من يده وسحبه وخرجا
معا، وياسمين جالسة تنظر إلى هذا الشاب الأغرب على
الإطلاق.



كناسك انغوراه انبساط

انغورتي حينك يا ملاك

استفاقت ياسمين من حالة الدهشة التي اعترتها، فهضت
من كرسها وفتحت الباب فوجدت أن الرجلين قد أعطياها
ظهرهما، فصرخت بهما متجاوزة كل تحفظاتها...

أنتما أيها الشباب قفا.

لكن ضياء استمر بالمشي لأنه عرف أنه أثر بروحها، واصطاد
قلبي فأراد أن يوغل بإدهاشها وأن يترك فعل التشويق للقاءهما
القادم.

غادر عمر وضياء المستشفى الكبير، ومازال عمر مصاب
بصدمة كبيرة قال ضياء مخاطبا عمر...

أرأيت جمال العينين؟

عمر...

كيف تحولت بلحظة من الإحباط إلى كل هذه القوة؟

ضياء...

هو الحب صديق الروح.

عمر...

أي حب!!!!

ضياء:

أما رأيت إله الجمال المنتكر في شكل طيبة.

عمر...

ويلك أيعقل أنك أحببتها بنظرة واحدة ولقاء واحد، أتراك

أتقنت الحمق لدرجة الجنون، الم تفكر في أن تكون المرأة

متزوجة

ضحك ضياء وقال...

لم تكن تلبس خاتماً في يدها اليمنى ولا اليسرى

وهل الحب إلا الجنون بعينه، يا لله كم أعجبتني لدرجة أن
باب شهيتي أنفتح على مصراعيه، تعال ندخل هذا المطعم
الجميل.

في نفس الوقت دخلت دكتورة منال على ياسمين، فسلمت
عليها وجلست، فنالها جزء من بحر استغراب ياسمين،
فسألتها وهي تؤشر بيديها محاولة قراءة ما بعينها من
رسائل...

مالك صديقتي أراك على غير حالتك التعبية يوميا.

ياسمين...

ما تقرئين في عيني؟

منال...

رسائل متداخلة، الق عاشقة وحيرة فتاة لا تعرف الإجابة في
امتحانها وحزن مفارقة.

ياسمين...

أقسم انك عرافة تجيد قراءة الملامح وما تبوح به العيون.

منال...

أهاا... يبدو أن هناك أمرا ما، هيا تكلمي وقولي فقد أوجعني
فضولي لمعرفة الأحداث.

ياسمين...

سأدعوك اليوم لتناول الغداء وعلى حسابي.

منال...

مستحيل... أنتِ اليوم غير كل يوم.

ياسمين...

أتقصدين أنني بخيلة في كل يوم واليوم أنا فقط كريمة.

منال...

لا لكن سبق ودعوتك أنا وكنت تقولين (لا)، أريد الوصول إلى
البيت، واليوم أنتِ من تدعوني، سبحان مغير الأحوال.

ياسمين...

خلص تعتبر الدعوة ملغاة وها أنا اسحب طلبها.

منال...

لااااا أرجوك أريد أن أعرف ما الذي يجري لك، وسأعمل معك
تحقيق عند وقت الغداء.

ياسمين تخلع صدرية العمل وهي تضحك بوجه مشرق على غير
عادتها:

أذن صار عليك الدفع أنت لا أنا.

ضحكت منال...

يا ناس ياسمين تضحك، أقسم أني ساجن.

غادرت المرأتان المستشفى وياسمين لم تمل من الضحك
وإطلاق النكات، بينما راحت منال تضحك من الدهشة لا
على نكات صاحبته بل على تغير حالها فجأة.

دخلتا مطعماً جميلاً وراقياً قريباً جداً من المستشفى. كانت
يومها دكتورة ياسمين ترتدي بنطلون جينز وقميص احمر
بسيط جدا، لكن رغم ذلك كان جسمها الرشيق والطويل
جذاب جدا ويلفت الانتباه.

دخلت الاثنتان ووقفنا كنخلتين طويلتين وسط القاعة الكبيرة وراحتا تبحثان في نظريهما عن مكان للجلوس، لكن المطعم كان ممتلئاً بالزبائن لان هذا الوقت، هو وقت الذروة. قررنا الخروج والبحث عن مطعم آخر، لكن النادل خاطب الاثنتين...

دكتورة... دكتورة.

التفتت الاثنتان معا وهن مستغربات كيف للنادل أن عرف أنهما دكتورتان.

فأجابتا الاثنتين بـ (نعم)

احترار النادل إلى من يوجه خطابه، فصار يقلب الاثنتين بنظره ويوجه لهن الكلام معا...

الطاولة خمسة وعشرين تدعوكم للانضمام إليها.

قالت ياسمين وهي تدير رأسها كله لمعرفة من الداعي...

وأين تلك الطاولة.

أشار النادل إلى طاولة قرب الجدار الزجاجي للمطعم.

قالت منال:

لنذهب ونرى من دعانا يبدو أن اليوم يوم سعدي.

ياسمين...

بصراحة لن نستطيع تناول الطعام فانا خجولة بهذه الأمور.

منال...

حرام عليك أنا أموت من الجوع.

ياسمين...

مستحيل.

منال...

دعينا فقط نرى من دعانا وعندها نشكره ونعتذر منه ونغادر.

سحبت منال صاحبها من يدها وأخذت تجرها جرا.

تسمرت ياسمين أمام الطاولة خمسة وعشرون.

نهض الشبابان الطويلان والوسيمان يرحبان بالرائعتين

القادمتين اتجاهاهما.

استمرت منال بالسير بينما تسمرت الثانية مكانها فقد
أفقدتها الدهشة كل سيطرة على تصرفاتها.

بعد أن سلمت منال على الشابين التفتت لتجد نفسها
وحيدة، إذ بقيت ياسمين تبعد عنها حوالي ثلاثة أمتار.

لم تفهم دكتورة منال ما يجري ولما توقفت ياسمين دون أن
تكمل طريقها.

صاح احدهما...

تفضلي دكتورة فنحن ننتظر تشريفك.

لم تجد ياسمين حلا سوى التقدم باتجاه الشابين.

وبعد أن جلس الجميع قالت منال...

يبدو عليكم أنكم تعرفوننا جيدا.

رد ضياء ببسمة عريضة وكلها ثقة وجرأة.

وهل يخفى القمر.

بدا التعجب على منال فترجم ذلك التعجب ببسمة تعجب

على شفيتها الورديتين وردت ووجها الجميل و الطفولي...

هااا، والقمران يريدان التعرف عليكما، ممكن تعرفاننا من
تكونان، ومن أين أنتما فلهجتكما كما تبدو ليست شامية...

رد ضياء بقول الشاعر...

عراق من النور وسع المآق

ونور على الكبرياء استفاق

تمر به النوب العاديات

ويبقى العظيم العظيم العراق

كان ضياء بكل حرف يوغل في روح ياسمين أكثر وهي تتلمس
روعة ردوده وجمال كلماته وعمق مضمونه، لتزداد به إعجابا
أكثر وأكثر.

منال وقد ظهر عليها الإعجاب بالرد:

يا لله... أنا فراتية أيضا وأكن للعراق حبا فطريا، ربما لأننا
نشرب من نهر واحد.

هنا استعاد عمر بعضاً من تركيزه وبدء ينزل لمبارزة الحديث
فقال...

ما يميز سوريا أنها رائعة الجمال أرضها وشعبها.

ضحكت منال وعرفت أن هذا غزل مبطن فقالت له.

ولا أعتقد أنكم اقل جمالا منا سيدي، والدليل وسامتك أنت.

أعادت كلمات منال الجريئة عمر إلى المربع الأول حيث الصمت
ذهولا، بينما راح يضحك ضياء بصوت عال وهو في قمة
سعادته، ونظر إلى ياسمين الساكثة والتي تراقب الحديث
وقال...

ما رأي الدكتورة في ما يجري من حوار؟

ياسمين وهي تعدل جلستها...

أعتقد أن منال هي الفائزة.

ضياء...

استدار إلى منال وقال...

أسم موسيقي ورقيق ويليق بكل ما أبدع الخلاق.

منال...

ها قد باحت صديقتي باسعي، أفلا أعرف أسمك سيدي؟

ضياء:

أما أسمى فأن عليه رهان مع الدكتورة، لكني سأقايضك
بأسم صديقي عمر.

فأنطلق الجميع ضاحكين دون شعور.

قالت ياسمين...

أنت مفاوض بارع بدأت تنال إعجابي.

ضحك ضياء من كل قلبه وقال...

أنا نلت إعجابك منذ اللقاء الأول يا دكتورة...؟

وكان يحاول الإيقاع بها لتلفظ أسمها دون شعور، فهمت
ياسمين اللعبة فغمزت بعينها غمزة خبيثة وكأنها تقول
له (اكتشفت لعبتك).

لكن منال ودون شعور نطقت بأول حرفين وقالت...

(يا) فأمسكتها من يدها ياسمين فهمت منال مرادها فأكملت
منال كلمتها فقالت.

(يا..ذكي).

ردت ياسمين أتريد أن تعرف أسمي ؟

ضياء وبكل لباقة...

ذلك شرف سيجعلني أسعد الرجال.

ياسمين...

أذن عليك تجاوز الاختبار.

ضياء...

وأنا مستعد لذلك سيدتي الرقيقة.

كان يتعمد ضياء إخالها ليقوعها بالإرباك لذلك كان ينظر إليها مباشرة دون أن يرمش، حتى يشئت فكرها ولا تستطيع ضبط أحجيتها.

لكن ياسمين كانت تستمتع باللعبة فقالت له...

اسمي...

أجمل الأسماء وأرقها، له عطر يميزه الناس، حتى أنه ارتبط بأحد العواصم العربية العريقة تكريما له وتجميلا لتلك العاصمة، ملون وأجمل ألوانه الأبيض.

ضياء...

يا لله ما أجمل وأرق أسمك.

ياسمين وقد فتحت عينها...

وهل عرفته؟

نهض ضياء من مكانه وعاد بعد دقائق وهو يحمل باقة رائعة
من الياسمين الأبيض، وبعد لحظات وصل النادل يحمل
مزهريه كان قد طلبها قبل ذهابه لشراء الياسمين، وراح
يرتب الورد في المزهريه وسط اندهاش منال وياسمين.

ضياء...

أسمك يا عزيزتي طالما لامس شعر الفتيات الجميلات، فكان
يعطي الحبيب حبيبته زهرة يغرسها في خصلة شعرها
المسدول، ليزيد الجمال جمالا، وكذلك دمشق التاريخ فقد
سميت بمدينة الياسمين.

قالت ياسمين...

أنا غبية لا أجيد صياغة الأحجيات .

ضياء...

بل أنتِ طيبة يا ياسمين، عفوا دكتورة ياسمين.

ياسمين وهي تسأل ضياء بعينها:

شكرا يا ... ؟

ضياء:

ضياء متهريا من الإفصاح عن اسمه مبادرا...

ألا نطلب طعاما ؟

منال...

وهل تركت لنا الوقت للطعام.

ضحك الجميع وجاء النادل.

فطلب كل من ضياء وعمر الكباب العراقي، فانضمت لهم منال

، فبادر ضياء وقال للنادل:

اجعلها أربعة أطباق.

فقالت ياسمين:

أنا نباتية ولا أكل اللحم.

نظر إليها ضياء وقال...

أذن لن أكل اللحم بعد الآن.

قالت ياسمين بخجل...

وما ذنبك أنت.

ضياء...

الذنب ذنب قلبي يا اااااااا

وكانت تنتظر ياسمين أن ينطق أسمها، لتتلذذ به كما المرة الأولى.

كان ضياء يقرأ عينها وهي تنظر إليه منتظرة نطق أسمها، لكنه وبعد أن أطلال (ياااااااااااا) أكمل بدكتورة مع بسمه خيثة.

ضحك الأربعة من كل قلبهم، فالأربعة كانوا بحاجة لهذا اللقاء، فقد تصحرت أرواحهم شوقاً لغيمة فرح تروي تلك الأرواح.

بعد الغداء نظر ضياء نظرة خبث إلى ياسمين وقال لها أعرف
أن للتدخين نكهة خاصة بعد الغداء.

ضحك الأربعة بقوة رغم أن منال بقت مستغربة كيف
عرف ضياء أن ياسمين تدخن، فغلها طبعها الفضولي والبريء
فهي كالطفل فسألها...

معقولة؟

ياسمين...

سأخبرك لاحقاً.

منال...

أيها الخبيثان... أتعرفان بعضكما قبل الآن؟

ضياء:

مالك يا منال الم أحاطبكن بدكتورة.

منال...

نعم والله كم غبية أنا.

ضحك الجميع ثانية ومن كل قلوبهم، حيث كانت ياسمين
تشعر بفرح لا تعرف نفسها أسبابه.

عند نهوض الجميع من طاولة الطعام، أنتزع ضياء باقة
الياسمين الموضوعة في المزهرية، وقدمها إلى ياسمين وقال لها:
تتشرف الزهور أن تحمل أسمك سيدتي.



للحبيب طعم الفرح

كطبيبٍ لنزيرٍ على طاولة الانتظار؛

لم يعامل أحدٌ ياسمين بهذه الطريقة الراقية طوال عمرها، أو ربما هي لم تسمح لأحد أن يعاملها بهذه الطريقة، لأنها كانت مرتبطة برجل لا تعرف غيره، وكانت تقتل روحها يومياً بسلاح كانت تسميه الوفاء لزوج غير وفي.

عند باب المطعم سألت ياسمين ضياء وفي عينها نظرة أعجاب كبيرة...

أين تسكن؟

رد ضياء في جرمانة.

ياسمين...

تعال غدا (للمشفى) سأكون بانتظارك للفحص.

ضياء وبكل جرأة ليرمي قنبلته ويغادر تاركا ياسمين في حالة
ذهول قال...

بل سآتي لرؤيتك أنتِ.

ضلت صامتة ياسمين، بينما راحت منال تضحك من شدة
الإعجاب بشخصية وجرأة هذا الشاب.

بعد ثلاث خطوات وياسمين لم تحرك سيارتها، التفت إليها ضياء
وقال لها:

ولرؤية دكتورة منال أيضا.

انطلق ضياء ضاحكا ودخل العمارة.



جوناك جعلنا في طائفة كطفلة

جانبه كتسمه ربيع ؟

منال وهي تضحك ساخرة ومندهشة بنفس الوقت...

هل سننتظر طويلا هنا؟

ياسمين...

أعطني بعض الوقت كي أعيد ترتيب نفسي فقد بعثني هذا
الرجل وحولني إلى أشلاء.

منال...

يا ويلي منه مع أن عمر لا يقل عنه جاذبية بصراحة.

ياسمين...

أنا لم أر غيره رجلاً طوال عمري.

بدأت تبحث ياسمين في مذياع السيارة عن أغنية تلائم
حالتها، إلى أن استقرت على أغنية للمطربة (إيسا) وهي
تقول...

لوما تحي على نوم عيني

بأيديك تغز الغفا

توعي الحنين إلي فيّ

إلي كان على البعد إنطفا

صالحتي مع هالدينا

رجعتني للولدنة

طفلة صغيرة مشيطنة

على الأرض عم تركض حفا

قبلك قلبي كان

شجرة بلا عصافير

جنة بلا ألوان

فراشة ما فيها طير

غيرت الزمان

بدلت البرد بدفا

أخرجت علبة سجائرها وأشعلت سيجارة ارتخت على
مقعد السيارة فانزلقت وأغمضت عينها وراحت تتلذذ بتلك
اللحظات.

منال...

يا امرأة أريد الوصول لبيتي فوالدتي ستقلق علي.

ياسمين وهي مغمضة عينها وفي نشوتها.

تؤشر بيدها وتقول (اششش).

منال...

تضرب كفيها ببعض وارتمت على المقعد وأخذت هي
الأخرى سيجارة وأشعلتها وقالت:

بسببك سأعاود التدخين.

سحبت ياسمين نفسا عميقا من الهواء وهي تستنشق
الهواء المسائي الجميل، وقد انتشت وارتوت روحها من ذلك
الشعور الرائع التي لا تعرف هي نفسها ما يسى لأنه يداعب
قلبها للمرة الأولى.

انطلقت بالسيارة بسرعة وهي تغني مع ما يجود به المذيع من
أغاني.



لايجي لإيقاع يعزفه نبضي

فبتراهن عليه قلبي

رفصا طفولي البراءة

مراهق الشعور؟!

دخل عمر وضيء الشقة وكان الاثنان بحالة من السعادة الغامرة.

قال عمر لضيء بعد أن ضربه على ظهره ضربة قوية:

من أين لك هذه الجرأة يا خبيث؟ أقسم أنك صدمتني اليوم كما أنني لا أخفي عليك أنني سأحاول احترامك بعد اليوم.

ضحك ضياء وهو يفرك مكان ضربة عمر...

ألا تترك عادتك السيئة بالضرب.

عمر...

أمازحك يا رجل، لا تتهرب من سؤالي.

ضياء هو الحب يا صديقي.

عمر وهو يضرب صاحبه ثانية...

معقولة...

ضياء...

سأخبر منال أنك قاسٍ وتستخدم يديك بالمزاح، وأنا متأكد أن
امرأة برقبتها لن تقبل أن تكون فتاة لمثلك أيها الهمجي.

عمر متوسلا...

لا أرجوك أعترف بذنبي وأعتذر.

ضياء...

أتركني أنام قليلا.

عمر ساخرا:

أنت تأمر أستاذ ضياء.

ولما استدار عمر تلقى ضربة من ضياء على ظهره، فالتفت
مندهشا وقال...

ما هذا ؟

ضياء وبخبثه المعهود...

بقيتَ مدينا لي بواحد أخذها متى ما أشاء.

أندفع عمر لضربه فقال ضياء مهددا...

هاااا دكتورة منال.

تراجع عمر وقال معك حق، بقيت لك واحدة تستطيع
أخذها الآن لو أحببت.

ضياء...

أريد عشاء ملكيا الليلة.

عمر:

قبل ساعة أنت تناولت غدائك.

ضياء...

أنت وصديقتك أكلتما الكباب وأنا تناولت (السباكتي).

عمر وهو يضحك شامتا...

لو تعلم كم شمتُ بك بداخلي وأنا أعرف حبك الشديد
للكتاب العراقي، بصراحة كنت بقمة السعادة وأنا أكل الكباب
وأنت من يدفع.

ضياء...

لا تفرح المرة القادمة ستكون أنت من سيدفع.

أوقفت ياسمين سيارتها بقوة، لدرجة أن رأس منال كاد أن
يرتطم بزجاج السيارة فاضطرت لان تصرخ رعبا.

نزلت ياسمين وأغلقت الباب ومدت رأسها من النافذة وقالت...

سأعود بعد لحظات.

منال تحدثت نفسها...

هل جنت هذه المرأة ما الذي جرى لها.

عادت ياسمين بعد عشر دقائق حاملة قرص مدمج للمطربة
اليسا، وراحت تكرر أغنيها التي سمعتها في المدياع.

منال...

أيعقل ما فعلت، أوقفت السيارة بطريقة مجنونة فقط كي
تحضري قرصاً مدمجاً أقسم أنك تتصرفين كالمراهقات.

ياسمين...

أنستكثرين علي لحظات سعادة وسط صحراء حزني الشاسعة.

منال...

أبدا صديقتي... لكن أنت أصبحت مجنونة.

ياسمين...

لم يبق في العمر شيء، كي لا اجن.

منال ضاحكة...

أنا من ستفقد عقلها، ياسمين سيدة الأحزان تتغير فقط
بلقاء واحد مع شاب من العراق لتتورد بهذا الشكل الجميل،
الآن أيقنت أن الحب يعمل المعجزات.



مجتاحمني الطوفانُ

أنتك سفينة الأعرافِ

محملني قلبي بجهدا فين من سلمح

وسراحي هنديا!

فتحت ياسمين باب شقتها ووجدتها تختلف تماما عن كل يوم، واكتشفت لأول مرة أن كل أواني الزهور التي في البيت جامدة وبلا حياة، لأنها جميعا لا تحتضن أي وردة فيها لتمنحها الحياة.

كان ضياء قبل خروجهم من المطعم قد اخذ باقة ورد الياسمين التي وضعها في مزهريّة المطعم وقدمها لياسمين.

أخذت توزع الزهرات على كل أواني الزهور التي في البيت لدرجة أنها وضعت زهرة في كل واحدة من تلك الأواني.

في الخامسة مساء دخلت حنين للشقة، فوجدت أن صوت
اليسا قد جعل المكان رومانسيا، وأول ما شاهدت زهرتين
متقابلتين في كل أنية.

في هذه اللحظة دخلت ياسمين للصالة وراحت تحضن
وتقبل حنين بحرارة، وحنين لا تحرك ساكناً فقد وصل تعجبها
لدرجة الصدمة.

سألت ياسمين حنين وهي تمسكها من يديها:

أعد لك شي تأكلينه ؟

حنين...

لا شكرا.

ياسمين...

أذن أدعوك للعشاء الليلة وفي أي مكان أنت تختارينه.

حنين...

أمي أشعر بك متغيرة جدا، بالأمس كنت بالكاد تحملين
نفسك واليوم أنتِ شئٍ آخر.

ياسمين...

الحياة جميلة وأتمن من أن تمنح لشخص واحد.

حنين...

صدقتِ يا أمي، على كل حال أتمنى لك السعادة.

ابتسمت حنين وتركت الصالة الكبيرة متجهة لغرفتها.

قالت ياسمين ووجهها يشع فرحا:

اكرر دعوتي على العشاء.

حنين...

اتفقنا فقط ارتاح قليلا وأغير ملابسي.

بقيت حنين تراقب وجه أمها المتلون بكل ألوان الفرح، فقد
راحت تمازح النادل مرة وتقبل كل من يمر بها من أطفال،
تصرفاتها الغريبة كانت تتناسب طرديا مع حجم الفرح

والسرور في داخلها، والأغرب نوع وكمية الماكياج الذي وضعته
ياسمين، فقد كان أكثر وبألوان شبابية منحها بطاقة تصغير في
العمر، فقد بدت وكأنها في الثلاثين مع بنطلونها الجينز وقد
ارتدت سترة قصيرة سوداء فظهر السواد لون وجهها الأبيض
والمائل للوردي، حتى أن بعض الشباب صاروا ينظرون لها
ولحنين بنظرة أعجاب وحاول أحدهم أبراز نفسه وإعلاء صوته
مرة والضحك مرة، كي يلفت انتباه الجميلة، لكن التحفتين
الرئعتين كانتا أكبر من محاولات صبيانية من ذكور لم
تنضج رجولتها بعد.

قالت ياسمين متحسرة...

كيف كنت أقص شعري هكذا، علي أطالته والاهتمام به.

حنين...

طالما طلبت منك أطالته لكنك كنت تصرين على تقصيره
وإهماله مع أن لونه الأشقر الرباني تحفه.

ياسمين وهي تطلق حسرة...

كنت أهمل نفسي قبل اليوم، فقد كنت تحت مخدر الم
والدك وتحقيره واستهائته بي واليوم قد استفتت منه.

حنين ممكن أسال سؤال ؟

ياسمين...

أكيد يا حبيبي.

قربت حنين رأسها من ياسمين وكأنها تستعلم عن سر...

ما الذي جرى؟

ياسمين وهي تعاملها بنفس الطريقة وكأنهن نساء عصابات
تجيبها بصوت خافت...

وما الذي جرى؟

انطلقت حنين ضاحكة بصوت عالي وياسمين مبتسمة ابتسامة
كبيرة.

بعد دقيقة من الضحك المتواصل أخيرا استعادت حنين
السيطرة على نفسها وقالت:

لاااا أنت غير من اعرف تماما.

لكن لا اخفي عليك سر.

أنت الآن أجمل بكثير من القديمة.

كان سرير ياسمين كمركب أبحرت به في بحر من الخيال،
وهي تتذكر كل تلك التفاصيل الجميلة التي مرت بها في
يوم من أجمل أيامها، وكيف للقدر الذي جمعها به
بمصادفتين أحدهما أروع من الأخرى.

تذكرت ذلك الشاب النابض حياةً ، والذي أسرها بذكائه
وحلو حديثه الأخاذ.

أغمضت ياسمين عينها وبسمة عريضة تملأ وجهها الجميل
المشرق، وكأن الشمس أشرقت في منتصف الليل.



سر القلب

حكاية نبضتي تُحمسي

لأنك بطئها !

نهضت ياسمين في الصباح وكلها نشاط، فتحت دولابها
وأخذت تختار الملابس عكس باقي أيامها الاعتيادية،
فأمتلأ السرير بشتى الألوان والتصاميم.

جلست على السرير وقالت...

اووووف كل ما عندي أما قديم أو أنه لا يحمل الطابع الأنثوي
كيف كنت أرتدي هذه الخرق.

اتجهت إلى غرفة حنين فوجدتها قد بدأت بتغيير ملابسها هي
أيضا.

ياسمين بعد قبلة كلها نشاط وحب:

صباح الخير حبيبي.

حنين...

صباح الخير يا أجمل الجميلات.

ياسمين...

كنت أريد استعارة شئ من ملابسك.

حنين...

ملابسي لا تصلح لك أبدا

ياسمين...

أتريني عجوز يا بنت؟

حنين:

بالعكس أمة لبتني بإثارة جسديك أو جمال وجهك أو حتى

بطولك الرائع، لكن ملابسني لفتاة وأنتِ أنثى مكتملة المفاتن.

ياسمين...

كنت احدث نفسي قبل أن أتى إليك وأقول...

كيف كنت أرتدي هذه الخرق؟

حنين وبخبث وشقاوة...

واليوم فقط انتهت لذلك؟ هل أنتِ على موعد غرامي يا

حبيبتي؟

ياسمين:

وهل أبدو كمن على موعد مع احدهم؟

حنين...

نعم وأكيد فالعاشقون يحتارون بما يظهرون أمام أعين محبيهم.

ياسمين...

اخطأ حدسك هذه المرة.

حنين...

لا تجيدين الكذب أمي، على كل حال سأكتشف سرّك

عاجلاً أم أجلاً.

ياسمين...

أريد أن أبدو جميلة جدا اليوم وجذابة.

حنين...

أذن عليك الذهاب بهذا الشكل.

ياسمين:

وما تقصدين؟

اقتربت حنين من أمها وأمسكت يدها وراحت تديرها وتقول:

ثوب نوم اسود قصير مكشوف الصدر على بشرة بيضاء
ناعمة وجسم ينطق إثارة، لا أعتقد أن هناك جاذبية أكبر.

ضحكت ياسمين وقالت:

ربما أفعلها فأنا مجنونة هذه الأيام.

راحت حنين تتأمل ملامح أمها بحب وقالت:

كم تكونين جميلة وأنت فرحة.

ياسمين:

خاصمني الفرح منذ سنوات وأخيرا تصالحنا الآن.

حنين:

سعادتك سعادة لي يا أمي، ولكن هل تفتقدين وجود أبي.

ياسمين:

لقد باعنا بثمان بخس يا حنين، هو لم يكلف نفسه باتصال
هاتفي يوما كي يتفقدنا أو يطمئن علينا، هو لم يصدق أن
ننفصل عن بعض، وكأننا كنا قيذا وتخلص منه.

حنين:

أتمنى أن نعود يوما أسرة متحاببة ورائعة كحال باقي الأسر.

ياسمين وهي تتنهد الحزن:

لم نكن يوما أسرة متحاببة حتى نعود، دائما ما أسأل نفسي لم
تزوجني أبوك وهو لا يحبني.

حنين:

لا تشغلي بالك استمتعي بوقتك يا أمي.



كلم نَسْبُهْنِي فَطَرَةُ النَسْرِ نَسَلَتْ

عَلَى السُّورَةِ البَيْضَاءِ

كَلَّا نَا نَسْتَنْظِرُ الفَجْرَ حَبَابًا؛

نزلت ياسمين من سلم العمارة واتجهت لمראها وأخرجت
سيارتها، وعندما استدارت كي تسلك الطريق العام لاحظت
أن العامل بدء بفتح صالون التجميل الذي بنفس العمارة،
فخطرت ببالها فكرة.

ركنت السيارة ونزلت وكان العاملون يفتحون المحل للتو
فلم يتعودوا أن يزورهم الزبائن بهذا الوقت.

استقبلها المتخصص بقص الشعر جلال وقال أهلا وسهلا
دكتورة، فردت عليه:

صباح العسل صديقي.

اتجهت للجلوس على الكرسي وارتمت عليه كالطفلة الشقية.

بقى الرجل بحالة ذهول من جواب دكتورة ياسمين فقد
تعود الرسميات والحزن، وقبل أن يسألها عما تريد فعله
بشعرها قالت ياسمين...

أريد اليوم أن اصغر عشر سنوات، أخبرني يا جلال هل يمكنني
ذلك؟

قال جلال...

أكيد.

أغمضت عينيها ياسمين وقالت له...

ها أنا استسلمت لك اعمل بشعري ما تراه.

جلال...

ولما أغمضت عينيك لك أن تفتتحها إن شئت.

ياسمين...

أريد أن اصدم بشكلي الجديد كزيائن (جويل)

لم يصمد جلال فحسب بل وانفجر ضاحكا:

دكتورة أنتِ اليوم غير كل يوم، أين كنت تخفين كل هذه خفة
الدم.

فتحت ياسمين عينها مع ابتسامة كبيرة ونظرت إليه...

برأيك هل أبدو مجنونة؟

جلال وقد وضع يده على فمه...

لا العفو دكتورة.

ياسمين...

كنت أتمنى أن تقول مجنونة، لأنني بالفعل اشتبهت بالجنون.

جلال...

المهم انك اليوم أجمل بكثير من قبل، اشعر بروحك ترقص
فرحا.

ياسمين...

صدقت يا صديقي هيا أبدع.

وعادت تغمض عينها.

ابتسم جلال بسمه حب وإعجاب وقال لها...

أغمضي عينيك واحلي بالسندرلا.

بعد ساعة ونصف كانت ياسمين تبدو اصغر بعشر سنوات
فقد امتد الأمر لمساحيق التجميل ومساج الوجه.

قال جلال...

سبحان الخلاق، أنت من أجمل ما شاهدت في حياتي.

ياسمين...

الفضل لإبداعك صديقي ولألوانك الجميلة

جلال...

بل لذلك الذي منح لروحك النبض وجعلك بهذا الجمال.

لم تجد ياسمين ما ترد به فخرجت مسرعة لدرجة أنها
نسيت أن تعطي جلال أجره.

دخلت المستشفى الكبير وهي تمازح هذا وتلاطف ذاك،
والكل مندهش بجمال هذه التحفة البشرية الرائعة.

واتجهت مباشرة إلى قسم الأورام حيث كانت منال تنتظرها
وكلها قلق عليها لأنها لم ترد على كل مكالماتها لأنها كانت
مشغولة بسماع إليسا فقد كان الصوت في أعلى درجاته.

ما أن رأتها منال إلا وصفرت بشفتيها بصوت عالٍ كأنها احد
الفتيان وهو يتحرش بإحدى فتيات الإعدادية.

وقفت ياسمين تستعرض نفسها بفخر وزهو، بينما راحت منال
تدور حولها وتصفر إعجابا.

حاولت لمس شعرها لكن ياسمين أبعدت يدها عنها وقالت...

لا.. ممنوع اللمس.

منال...

شعر أحمر غامق... مستحيل.

ياسمين مع ضحكة جميلة...

أعجبك؟

منال...

بل سيفقدني واعي، تبدين أصغر من عمرك بعشرين سنة.

ياسمين...

الحمد لله، أتقن جلال عمله.

منال...

أتعرفين؟: أن داخلك هو الأجل اليوم، لم أرك بهذا الزهو
منذ السبع سنوات التي عرفتك بها.

ياسمين...

كنت ميتة.

منال...

ربي يسعدك عزيزتي.



أفسح ملك بساط عتوس

للمعدي سلاح النبض

حيث قلبي .

كان اليوم جميلا عند ياسمين لكن السعادة بدأت تنخفض
مع وصول الساعة الثانية بعد الظهر وضياء وعمر لم
يظهرا، دخلت منال على صديقتها ياسمين وجدتها بحزن عميق
وخيبة، فقالت لها...

مالك صديقتي؟ سبحان مغير الأحوال.

ياسمين وهي تحاول أن تخفي ملامحها الحزينة فالتقطت
سيجارة وبعد أن أشعلتها ردت...

لا شئ فقط أنا تعب.

منال...

وأني تعب يا صديقتي، قبل ساعات كنت بنشاط النوارس
وسرعتها.

نظرت ياسمين إلى ساعتها فإذا بها تقارب على الثانية بعد الظهر،
فاستنشقت من سيجارتها نفسا عميقا بحجم شوقها لضيء.
عم الصمت المكان، وساد الهدوء الأجواء وكلا المرأتين
تعرفان ما يجري،

كان الصمت ابلغ، فكل كلمات المواساة لا ترمم شقوق الخيبة.
طرقت الباب بهدوء مرة ومرة أخرى دون أن تجيب ياسمين،
فقد أثقلت الخيبة كاهلها، مما اضطر منال للقول بدلا عنها
أدخل.

فتحت الباب ودخل ضياء دون كلام فوجد ياسمين تضع
كوعيا على المكتب وهي تمسك برأسها بكلتا يديها وهي تنظر
إلى مكتبها لا مبالية بمن جاء، فكل القادمين لا يهتمون قلبها إلا
ذلك الرجل.

قال ضياء بخبثه الغرامي و قفشاته العشقية...

مساء الياسمين.

كان صوت ضياء أنفاسا دخلت لروح ياسمين، فرفعت رأسها
غير مصدقة قدومه.

أخذ وجهها المتشح بسواد الفقد يتلون بلحظة، ويكتسب
ألوانه بسرعة. فتحولت عيناها الذابلتان إلى متألقتين
بثانية، فقد كانت ملامح وجهها تستنطق الفرح بكلها.

بسمه ضياء ذو السمار كانت أجمل ما شاهدت فنهضت من
مكتبها واستدارت تصافحه وتعاتبه بقسوة المشتاق...

لما تأخرت ؟

ضياء...

لم أتأخر ، ها أنا جئت في الوقت المناسب.

ياسمين...

أنت محموم يا.....

ضياء...

الم تحلي الأحجية.

ياسمين وهي تنظر إلى عينيه مباشرة.

كم أنت قاسي معي.

أحس ضياء برغبة ياسمين العارمة لمعرفة أسمه فقال لها...

ضياء... أسهي ضياء.

ياسمين...

أقسم أنك ضياء أسم ومسمى، بوجودك يهرب ليل الحزن
وتضيئ الأرواح بوجودك.

ضياء...

أنت اليوم لوحة ملونة بكل ألوان الفراشات.

ياسمين...

كان عليك أن تأتي قبل الآن لأنني فقدت الأمل بمجيئك.

ضياء...

للقلوب مواعيد لا نقوى على مخالفتها يا دكتورة.

ياسمين...

ما ألد ردودك وأذكاها.

لم تخبرني مما تشكو؟

ضياء...

عمر هو المريض فانا لا امرض أبدا.

ياسمين:

لكنك محموم؟

ضياء:

حى عابرة فقط.

دخل عمر بعد ضياء فبادره ضياء بتلقينه ما قاله لياسمين...

عمر تعال لتفحصك الدكتورة.

ضحك عمر...

ما تقول يا صديقي.

منال...

سلامات عموري.

فقد عمر وعيه بالمكان وردد بعدها:

عموري ؟

منال...

ألسنا أصدقاء إذا لم يعجبك عموري فانا آسفة.

عمر...

أنا عموري وستين عموري.

لم تصدق ياسمين ما قال ضياء وقالت بلهجة الشك...

ارني أوراق الإحالة.

ضحك ضياء وقال...

غدا نحضر أوراق هذا المسكين عمر .

منال...

غدا نعيد كل الفحوصات لأن وقت العمل انتهى.

ياسمين...

تأخرتم كثيرا جدا كان عليكم المجيء بوقت أبكر

عمر...

منذ الصباح ألح عليه لكنه كان يتعمد التأخر ولا اعرف السبب

منال بصوت حنين...

حرام عليك يا ضياء صديقك مريض ويحتاجك فكيف تتأخر
على موعد الطبيب، وخصوصا بالأورام اليوم الواحد له فارق
كبير.

ضياء...

أعدك أن عمر لن يموت يا دكتورة منال.

منال بطريقة كلها رقة وغنج:

بعيد الشر عن عموري.

عمر...

أنسمحون لي بالجلوس فما عادت رجلاي تحملي.

ضحك الثلاثة من صميم القلب وبصوت عالٍ جدا.

تغيرت ملامح ياسمين من خريف الحزن وذبول أوراقه إلى
ربيع الفرح وأزهاره، وراحت تنظر إلى ضياء بتأمل لهذه الملامح
الرائعة التي تضح شلالا من الرجولة والدهشة معا.

قال ضياء...

هيا بنا اليوم لدي برنامج ترفيهي لكم.

ياسمين ودون تردد...

هيا بنا

منال...

لا أنا لا استطيع لدي موعد خاص.

انقلب وجه عمر ونهض من مكانه وقال دون شعور...

خاص !!

منال...

نعم خاص.

عاد عمر للجلوس وقال...

وجودي لم يعد له أهمية.

منال وهي مندهشة من حجم التأثير الواضح على عمر:

يا رجل... خاص... يا لله ما أقول:

موعد مع الحلاق النسائي.

نهض عمر من مكانه وكله حماس وزفر زفرة قوية وقال...

الحمد لله.

ضحك الثلاثة مجددا فقاطعهم عمر:

هيا بنا نخرج الآن فكلي حماس.

فخرج أولهم عمر ومعه منال، بينما راحت ياسمين ترتب أوراقا على مكتبها وخلعت معطفها الطبي وهي تهتم بالخروج فمد يده ضياء ليمسك يدها ويخرجان معا.

فسحبت ياسمين يدها بسرعة وقالت له بصيغة الزجر...

أخرج كي أغلق باب الغرفة.

شعر ضياء بالخجل لكنه دارى خجله بضحكة خجولة منحته وسامة فوق وسامته.



كشجرة لبلاّب
تسلك أنفاسي
تعانق مني الروح
وتزهر في قنايا القلب .

جلست منال في المقدمة بينما جلس الشابان الوسيمان
في الخلف، وانطلقوا على أنغام المطربة اليسا حيث أن
القرص المدمج صار لا يفارق ياسمين في البيت أو في السيارة قال
ضياء...

أريد أن أزور مدينة الملاهي.

فعارضت منال وقالت وهل نحن صغار، وافقها عمر الرأي
واقترح أن يصعدوا إلى جبل قاسيون فالغداء هناك تحفة.

نظرت ياسمين في المرأة فوجدت ضياء طفلا يريد المرح،
فتعاطفت مع إحساسه وخصوصا أن الطفلة بداخلها كانت
تريد التحرر والقفز أيضا فقالت...

أنا مع ضياء لتزور الملاهي.

عاود عمر ومنال الاعتراض، لكن ياسمين زجرتهم وقالت...

أنا أكبركم سنا وأنا القائد وصاحبة القرار انتهى النقاش.

بعد صمت امتد للحظات رفع ضياء أصبعه كتلميذ محترم
وقال:

أستاذة ممكن أتكلم لو سمحت لي من فضلك.

قالت ياسمين مع بسملة:

تفضل يا شطور.

ضياء...

أنا أعترض.

ياسمين...

تعترض!

كيف وأنت من أقترح أن نزور الملاهي؟

ضياء...

ليس اعتراضي على المكان وإنما اعتراضي على مفردة وردت
أثناء توبيخك لهؤلاء المشاكسين.

ياسمين وهي تضحك بصوت عالٍ...

تفضل ابني قل على ماذا تعترض؟

ضياء: كلمة أكبركم سنا.

ياسمين...

كم عمرك أنت؟

ضياء متفاخرا...

أنا أكملت السادسة والثلاثون قبل سبعة أشهر.

ضحكت ياسمين وقالت...

يا بني: أنا أكبر منك بخمسة أعوام وأربعة أشهر.

ضياء وعمر بصوت واحد وقد جمعا رأسيهما في الفتحة التي
بين المقعدين الأماميين:

مستحيل.

انطلقت ياسمين بضحكة كلها زهو وسعادة وقالت متسائلة...

وما المستحيل؟

كانت ياسمين بداخلها تريد أن تستمتع بعبارات الاندهاش
بجمالها وروعها، لأن أنوثتها المسلوبة بزوج قاسي الملامح،
متصلب الأفعال، متحجر المفردات، قد تقرحت وأصابها
فطريات عدم الثقة بالنفس فكانت تحتاج لإطراء يداوي شئ
من جراحات أنوثتها.

قال ضياء...

توقعتك أصغر مني يا ياسمين.

كان طعم (ياسمين) من فم ضياء كطعم العسل على قلب
ياسمين فقد ذكر أسمها للمرة الأولى دون لقب دكتورة.

أحست ياسمين برغبتها بالقفز من المقعد الخاص بالسيارة
لحجم الفرح الذي نالته اليوم فأوقفت السيارة على جانب
الطريق وقالت:

ها: ما قررتم يارفاق؟

قالوا جميعا وبصوت واحد وبكل حماس:

إلى مدينة الملاهي.

قالت ياسمين مخاطبة ضياء كونه صاحب الفكرة:

لكن علينا اصطحاب شخص خامس معنا؟

ضياء:

ومن هو؟

ياسمين:

شخص أحبه ويحبني جدا، ولن تكتمل سعادتني إلا بوجوده
معنا.

ضياء وقد بدا عليه الارتباك:

شوقتني لمعرفته؟

ياسمين

ستتعرف عليه بعد قليل وسيعجبك بالتأكيد.

أجرت ياسمين اتصالا هاتفيا وقالت التالي:

مساء الخير حبيبي، ألدك ارتباط أو موعد، أذن انتظرنى أول الشارع سأمر عليك لاصطحابك فقد أعددت لك مفاجأة جميلة مع السلامة، شغلت محرك سيارتها وانطلقت.

تغير حال ضياء كثيرا فقد كانت كلمات ياسمين أثناء الاتصال كالفرشات المختلفة الألوان تتطاير من حوله، لكنه عاجز عن الإمساك بواحدة كي يشفي غليل رغبته لمعرفة ذاك الشخص ومن يكون.

الكل يغني إلا ضياء الذي على وجهه الوجوم والكآبة وهو يحاول إعادة ترتيب أفكاره وراح يحدث نفسه:

أكل هذا الشعور بالإعجاب منها كان وهم فقط في خيالي؟

لم يستطع ضياء تحمل رغبته في معرفة الشخص المجهول ذاك فحاول استنطاق ياسمين دون أن يبين انه مهتم:

أه من القلوب لها قوانينها والتي لا تخضع لمنطق أو علم.

ياسمين:

اتفق معك جدا.

لم يكن الجواب شافيا لفضول ضياء فقرر الانتظار لحين رؤية ذلك الغريم.

بعد النصف ساعة توقفت السيارة أمام جامعة دمشق، فنزلت ياسمين من سيارتها وراحت تتلفت بلهفة كبيرة، أيقن ضياء أن من تبحث عنه بهذه اللهفة هو حبيبها وأن كل ما قالته ياسمين عن أن سعادتها مرتبطة بهذا الشخص صحيحة وليس مبالغة، اخفض رأسه وتمنى لو أن هذا اليوم لم يأتي ولم يعيشه فقد تعود فقدان من يحب ويعشق.

بعد دقائق صرخت ياسمين فرحة:

أهلا بالعمر كله.

كانت الكلمات التي نطقت بها ياسمين كالرصافات تخترق روح ضياء، فتلك الأجزاء من الثانية التي كانت عيني ضياء تبحث عن الشخص المهم، كالصخور الساقطة من السماء على ما تبقى من ضياء.

ارتسمت ابتسامة رائعة على وجه ضياء الجميل أصلا بعد أن وجد أن ذلك الشخص المدعو(العمر كله) هو فتاة وليس رجلا كما تخيل، لكن سرعان ما تحولت البسمة الجميلة إلى خيبة كبيرة عندما عرفت ياسمين حنين للجميع على أنها ابنتها الوحيدة.

كرر ضياء الكلام الذي قالته ياسمين:

(أبنتي الوحيدة) ؟

هل أنت متزوجة ؟

ياسمين وهي تبتسم بخبث:

أكيد متزوجة وإلا كيف أتت هذه الفتاة الجميلة حنين.

أشارت ياسمين لضياء بيدها وقالت:

هيا انتقل للجلوس في الأمام بجاني.

تبادل ضياء ومنال الأماكن لتنضم حنين إلى عمر ومنال في المقعد الخلفي، وانطلقت ياسمين بالسيارة مسرعة، وأخذت ترفع صوت الموسيقى عاليا والكل راح يغني معها إلا

ضياء المسكين فقد كان خبر زواج المرأة الوحيدة التي حركت
فيه الإحساس خنجر أخترق روحه الطيبة.

نزل الجميع أمام الملاهي بينما راحت تركز ياسمين سيارتها
فبقي ضياء جالسا بجانبها، وبعد أن أطفأت السيارة نظرت إلى
ضياء وقالت:

لست وحدك من تعرف أثارة الآخرين وتشويقهم
ضياء:

أعترف لك بقدرك على قتلي.

ياسمين:

قتلك ؟

ضياء:

نعم قتلي:

أتعرفين معنى أن ينتظر رجلا امرأة طوال حياته، يحلم بها
يوميا في صحوه ومنامه، تكبر معه طوال السنوات التي يكبر
بها، ينتظرها كما تنتظر الأرض المتفطرة شوقا لنقطة ماء

ساقطة عليها من غيمة الأمنيات، وبعد أن يجمع بينهما القدر
بصدفة هي الأروع، ويبدأ ذلك الرجل بالحلم ثم الحلم ثم
الحلم، حتى يتحول ذلك الحلم لدنيا كبيرة، وفي لحظة واحدة
يكتشف أن كل ما حلم به كان عبارة عن بالون كبير أنفجر
بكلمة واحدة هي (متزوجة)

ضحكت ياسمين من كل قلبها وقالت:

أتعرف حجم الألم أن تترك امرأة تفكر أربعة وعشرين ساعة
في أحجية حبكها رجل يملك خبث الشياطين وقدرة الجان
ووجه الملائكة دون أن تستطيع حلها، فقط لتعرف أسمه الذي
كانت تحتاج أن تعرفه لتدعوه به ولو في حلم يجمعهما معا،
ليتركها في ذلك الحلم ويختفي وسط جموع الناس، وهي لا
تعرف حتى بما تناديه.

ضياء:

أيعقل أنني كنت بهذه القسوة؟

ياسمين:

لكني ساكون أكرم منك ولن أتركك تعاني أربعة وعشرون ساعة
كما تركتني أعاني، حنين أبنتي من.

سحبت مفاتيح السيارة وخرجت منها وأغلقت الباب، وأدارت
وجهاً متجهة إلى الملاهي، فخرج ضياء من السيارة وصرخ بها:

أرجوك يا ياسمين أكلمي كلامك قد أموت الآن انتظاراً
فالثواني ثقوب تفقدني دمي.

بعد أن أحست حجم حب هذا الشاب لها وصدق مشاعره
اتجاهها، وأنه لا يبغي اللعب كغيره، فلو أراد اللعب لما فرق
عنده أن تكون متزوجة أو غير متزوجة، توقفت ياسمين
واستدارت بحركة رائعة مع بسملة رائعة وقالت:

(طليقي).

زفر ضياء كل ما عانى منه من إرهاق للعواطف، فأدار ظهره إلى
ياسمين واتكأ على باب السيارة وانزلق حتى جلس على الأرض،
عادت راكضة ياسمين وهي غير مصدقة بما فعلت بالرجل
وبركت أمامه وقالت:

لا أصدق ما أرى.

ضياء:

صديقي يا سيدتي.

نهضت ياسمين ومدت يدها الرقيقة والطويلة إلى ضياء، فلم
يصدق منظر اليد فامسكها كمن يصطاد حمامة، فقالت
ياسمين:

أعطيتك يدي لتنهض لا لتداعبها أيها المشاكس.

ضحك ضياء وترك يدها ونهض وقال سأنهض لوحدي إذا
سيدتي الرقيقة.

ضحكت ياسمين وقالت:

جاحد.

سار الاثنان مع بعض فهمس ضياء لياسمين:

سأنتقم منك قريبا وسأرد الصاع صاعين.

ياسمين:

دقة بدقة وأن زدت زاد السقا.



قلبي الطفلُ ينأرجحُ على حبالِ النبضِ والحبِّ عيد ..

دخل الخمسة الملاهي وتوجهوا لأقرب محل لبيع الشطائر،
فتناول الجميع ما يحبون إلا ياسمين فقد أخذت صحن من
المقبلات فقط، فكان ضياء يشاكسها بسرقة البعض منها.

كان لركوب الافعوانة طعم آخر، فقد اجبر عمر ضياء على
صعودها بينما راح ضياء يغمز له، لكن دون جدوى بعد أن
دخل الجميع قال لعمر معاتباً...

أخرجتني أخزاك الله.

عمر...

يا غبي استثمر خوفها وأظهر قوتك كفارسها والمنقذ لها
وأستمع بالتصاقها بك.

ضياء...

يا غبي ألا تعرف أنني أخاف المرتفعات.

ضحك عمر حينها وقال له بصوت مرتفع قليلا.

يبدو أن ياسمين هي من ستكون فارستك ومنقذتك.

صعد الخمسة وقبل أول دورة أمسك ضياء بعمود الفولاذ الذي
أمامه

كانت العلاقة طردية بين خوف ضياء وارتفاع العربة فكلما
ارتفعت العربة ارتفع خوف ضياء، لكن سرعان ما تحولت
العلاقة لعكسية مع أول منحدر صادف العربة إذ ارتفع خوف
ضياء مع انخفاض العربة، كانت منال قد أمسكت يد عمر
وهي تصرخ.

أمسك ضياء بيد ياسمين الرقيقة والرشيقة وراح يعصرها
كلما استدارت العربة بطريقة خطيرة، بينما راحت ياسمين
الطفلة تستمتع بكل طاقتها بعد أن أُطلق سراحها، وصارت

تصرخ بسعادة عارمة وهي تتحدى الخوف الذي تملكها طوال التسعة عشر عاما من زواجها السابق.

انتهت الرحلة ونزل الكل سعيداً، وأكثرهم سعادة هو ضياء فقد مر بتجربة مرعبة جداً لأنه يعاني من رهاب المرتفعات.

قالت ياسمين بحماس...

لنعيد الكرة ثانية.

عمر...

تمام سأقطع التذاكر.

ضياء لعمر...

يا مجنون تعال

ضحك عمر وأسرع يقطع خمسة تذاكر أخرى وكله خبث، فقد كان يريد أن يشاكس صديقه ضياء وبنفس الوقت يريد نوبة أستمتاع أخرى بالتصاق منال به.

تمكن ضياء هذه المرة من فتح عينيه بعض الوقت أثناء دوران الافعوانة بينما كان صراخ ياسمين مميزاً، لأنه كان

صراخ الفرح لا الخوف مما اجبر ضياء أن يختلس النظر إليها
أحيانا رغم خوفه الشديد.

بقي الجميع حتى الحادية عشر ليلا دون الشعور بالوقت.

أحبت حنين ضياء وعمر جدا وتعلقت بهما لدرجة أنها طلبت
من أمها أن تدعوها للغداء مع منال في شقتهم لترتهم براعتها في
صنع المقبلات السورية اللذيذة، شعرت ياسمين بالإحراج
لكنها لم تستطع رفض طلب ابنتها، أو طلب ابنتها وقلبيها معا.

كانت حنين سعيدة بأمها كثيرا، إذ أنها لم تزها يوما بهذه
السعادة ولا بهذا الانطلاق



اقول اسمح

فترمي الدنيا تحت قدمي؟

قبل أن ينزل عمر وضياء قالت لهما ياسمين
ننتظركم يوم الأحد ولكن عليكما القدوم مبكرين إلى
المستشفى.

ضياء...

لا اعتقد.

ياسمين بلغة حازمة كلها فكاهاة...

هذا أمر وليس طلب، عليك أن تكون قدر المسؤولية اتجاه
صديقك الوحيد.

ضياء بنفس مستوى الراحة والفكاهاة...

بل قولي صديقك اللدود.

فضحك الجميع.

دخل ضياء وعمر إلى شقتهم الصغيرة فارتى على السيرير.

عمر:

لما لا تترك هذه العادة السيئة.

ضياء وقد قفز من مكانه وذهب للاغتسال وكأنه تذكر شيئا ما
وسط دهشة عمر الذي قال له...

أيعقل أنك صرت تسمع الكلام بهذه السرعة.

ضياء...

لا يا صديقي بل تذكرت الآن أني أخذت رقم ياسمين،
لذلك أنا أتهدأ للحديث معها ليلا ولست بخيبتك.

ضحك عمر وقال...

هل أخذت رقم دكتورة منال؟

ضياء:

لا.

عمر...

أنا أخذت رقم منال وياسمين وحنين معا أيها الأحمق.

ضحك ضياء من قلبه وقال...

أتمنى أن أغلبك يوما ولكنك الأبرع دائما.

عمر...

ضياء نحن نضيع الوقت والمفروض أنك الآن تأخذ العلاج.

ضياء...

ومن قال أني مريض حمى و غادرت أما رأيت كم كنت سعيدا
اليوم.

عمر:

أيها المخادع كيف ستتدبر حكاية مرضي؟

ضياء:

سنجد حلا حينها.

عمر...

أنت تلعب بالنار، غدا سأخبر ياسمين أنك مريض فهي وحدها
القادرة على أن تجبرك على العلاج.

ضياء...

أرجوك يا صاحبي دعني استمتع ما بقي من أيامي.

عمر...

ويلك أراك تأكدت أنك مريض بل وأنت ستموت بعد أيام.

ضياء...

أن كنت سأموت أم لا في الحاليتين أنا سعيد جدا الآن
وياسمين المرأة التي أنتظرتها عمرا.

رن هاتف ياسمين عدة مرات دون أن تجيب فشعر ضياء
بالإحراج الشديد وراح يتوقع أكثر من سبب لعدم الرد فنظر
إلى الساعة فوجدها قد قاربت الثانية عشرة بعد منتصف الليل
وقال لنفسه...

أعتقد أني تماديت كثيرا لو غضبت مني ياسمين أقسم لن
أسامح نفسي.

بعد عشر دقائق من جلد الذات رن هاتف ضياء فقفز قلبه
قبل أن تقفز يده وتأخذ هاتفه.

كان المتصل هو دكتورة ياسمين وهي تعتذر عن عدم الرد لأنها
كانت تأخذ حمامها قبل النوم، رد ضياء وابتسامة كبيرة
جدا اتسعت حتى ابتلعت نصف وجهه:

يبدو أني اعرض رجولة واحترام الرجل العراقي للخطر.

ياسمين...

أبدا... أرجوك لما تقول ذلك؟

لأنني أتصل بك بهذا الوقت المتأخر فربما تأخذين فكرة خطأ
عن تصرفات الرجل العراقي فانا أتحمل مسؤولية تاريخية
أمام سيده الذوق وأجمل نساء سوريا وأرقاهن.

كانت كلمات ضياء الرقيقة والمنمقة والتي تصاغ بحرفية
صائغ الجواهر تخترق روح ياسمين المتعطشة لرجل حقيقي

يعرف كيف يملأ فراغ روح أنثاه، لكن ياسمين لم تكن اقل
حنكة من ضياء فردت على كلامه...

وأنت خير سفير لخير الرجال، وان كان رضاي عنك يريح
نفسك، فأنا أعتز لك أنك تملأ كل وعاء إعجابي الذي لم
يضع فيه أي رجل آخر قطرة واحدة في حياتي .

ضياء...

وذلك أكبر الشرف لي سيدتي الراقية فليس من السهل إرضاء
سيده الذوق العالي بعلو السماء والفكر العميق بعمق لب الكرة
الأرضية، ولكن لرضائك أعراض جانبية علي تجنمها.

ياسمين مستغربة وبصوت هادئ...

ولما يا سيدي؟ ممكن تتفضل علي بشرح يزيح عني سحابة سوء
الفهم.

ضياء:

كلامك الرقيق والمادح سيزيدني غرورا فوق مخزون الغرور الذي
املك.

ضحكت ياسمين بصوت رقيق ورومانسي بنكهة أعجاب كبيرة

وردت:

كن على يقين كامل بأن لك الحق بالغرور سيدي.

قال ضياء...

انتهى وقت المجاملات واستعراض القدرات الكلامية، من يسمع

حديثنا هذا لا يصدق أننا قبل ساعات كنا في مدينة الملاهي معا

نضحك ونلهو كالأطفال

ضحكت ياسمين من كل قلبها واسترسلت بضحكتها

فامتدت طويلا حتى انتهت بضحكتها بتمهيدة وحسرة.

ضياء مستغربا...

ضحكة طويلة بتمهيدة حارة متناقضان لا أفهمهما، وأعجوبة

لا يجمعهما الوقت دائما.

ياسمين...

من أين ظهرت أيها الرجل وكيف لك أن جعلتني اضحك بعد

أن نسيتها أعواماً طويلة واستوطن الحزن طيات روعي لدرجة

أن شفتي تحجرت وما عاد بوسعها التمدد للابتسام.

ضياء...

كنت أنتظرك فجرا طوال الستة والثلاثين عاما هما عمر
انتظاري لك، تبدين ظلمة الوحدة التي كنت أعيش وتحققين
حلم روحي وقلبي البعيد.

ياسمين...

لما الكذب يا رجل.

ضياء...

أنا لا أكذب أبدا.

ياسمين...

عندما زرتني أول مرة كنت تبكي على حبيبتك أم أنك نسيتهما
بسرعة.

ضحك ضياء بصوت عالي وقال...

ولازلت حبيبي.

شعرت ياسمين بالغيرة وقالت...

أذن أذهب وتكلم معها لما تضيع وقتك معي.

ضحك ضياء ضحكة أطول من الأولى

ياسمين غاضبة:

سأغلق الهاتف أن لم تترك الضحك.

ضياء...

انتظري يا ياسمينتي.

كانت تلك الكلمة كغيمة ماطرة تمر على روح ياسمين المتصحرة.

ياسمين...

أخبرني الحقيقة هل أنت عاشق لامرأة ما؟

ضياء...

لها أدين بكل شيء، أول امرأة في حياتي ولن أنساها مطلقا.

ياسمين وهي موجوعة.

أحسننت صديقي إياك أن تتركها، احترم فيك شجاعتك

وصدقك تصبح على خير.

كان ضياء يعرض ياسمين لاختبار عاطفي مهينًا إياها
للضربة القاضية وليطوعها للاعتراف لها بحبه، فقال لها دون
أي مقدمات أو تمهيد:

أنا أدمنتك ياسمينتي

ياسمين...

نعم!!! هذا تجاوز سيد ضياء.

ضياء مستدركا كلامه فهو لا يعدم وسيلة للتملص...

الإدمان عادي وليس بالضرورة ما جال في بالك، فأنت تدمنين
التدخين دون حمها.

ياسمين...

من قال لك أنا لا أحب السيجارة، بل أنا أحبها واحترمها جدا
فهي الأوفى على الإطلاق والمواسية لي دائما عندما يخيب
أحدهم ظني.

فهم ضياء أنه المقصود.

فقال لها...

وهل فيمن يحب أمه خيبة لضعك.

ياسمين وكلها دهشة وفرح...

وهل من كنت تتكلم عنها والدتك؟

ضياء...

نعم.

تمهدت ياسمين كاشفة كل أوراقها بتلك التمهيدة.

ضياء:

أحبك.

ياسمين:

تجاوز أستاذ ضياء أن لم تعتذر الآن فأني سأغلق الخط فوراً.

ضياء وهو يعطي بعداً رومانسيا وهو يهمس في الهاتف بصوت

كله حب:

أحبك.



ما الجمل أله ينساء القلبُ

ما نساء الهوى

ونخطُّ بالعنق وروب القدر؛

أغلقت ياسمين الخط فورا وهي تضحك بروحها مع وجهها
وقلبها.

وكان الشعور عند ضياء مطابقا لما شعرت به ياسمين، فرغم
أن ياسمين أغلقت الهاتف مدعيةً الغضب، إلا أنه يعرف الآن
أنها تبادله الشعور.

بعد لحظات رن هاتف ضياء وكانت المتصلة ياسمين وتتكلم
بجدية:

بالمناسبة أول يوم زرتني فيه قلت أنك مريض، وأمس ادعيت
أن عمر هو المريض، فأي الادعاءين هو الصحيح؟

ضياء...

اليوم هو الخميس والأحد سنزوركم للمستشفى وتعرفين
الحقيقة.

ياسمين...

ومن أين لي كل هذا الصبر يا ضياء، فما مرت علي من أحداث
استنفذت كل مخزون صبري.

ضياء...

معك حق: تصبحين على خير.

أغلق هذه المرة الخط ضياء وهو متأكد أن ياسمين عاشقة له.

كان صباح الجمعة هو الأجل في حياة ياسمين، فقد نهضت
من فراشها في الثامنة علما أنها استفاقت في الساعة
فالحماس بداخلها كان يمدّها بطاقة كبيرة معروفة المصدر
(قلمها).

كانت الدهشة حال حنين التي استيقظت على صوت أمها
وهي تغني مع إيسا، وتضاعفت تلك الدهشة عندما رأت أن
المنضدة قد وضعت عليها مختلف أصناف الطعام الصباحي
فقالت...

وااو ما كل هذا يا ملكتي.

انحت ياسمين انحناءة الاحترام والتبجيل وقالت...

هو فطورك يا أميرتي.

حنين...

لكنك تعرفين جيدا أنني لا أكل شئ إلا بعد العاشرة.

ياسمين...

وهل يقبل قلب مولاتي الطيب أن تدع كل ما بذلت من
جهد لإسعادها يذهب سدى.

حنين...

مستحيل سأكل كل ما وضعتِ بنهم.

ضحكت الاثنتان وتحاضنتا وبعد لحظات من احتضان
أحدهما الأخرى نظرت حنين في عيني أمها الأطول منها
وقالت...

ما أجمل الفرح في عينيك.

ياسمين...

قررت أن لا احزن بعد الآن أبدا.

كان الفطور رائع مع غناء إليسا الرومانسي، بينما راحت حنين
تراقب تغير ملامح أمها مع كل أغنية فتارة تغمض عينيها
وأخرى تترك الفطور وتلوح بيديها كقادة الاوركسترا، وأخيرا
نهضت ومدت يدها لحنين تطلبها للرقص، فوافقت حنين على
الفور وراحت الاثنتان تطيران فرحا وضحكا، وأخذتا تدوران
في أرجاء الشقة الكبيرة، وما أن تغيرت الأغنية من
البطيئة والرومانسية إلى الإيقاع السريع، حتى تحولت
ياسمين إلى الرقص السريع، وحنين تضحك من كل قلبها
وهي تلاحظ عدم معرفة أمها الرقص السريع إذ راحت تحرك
كل ما فيها بعشوائية واضحة، وكأنها طفلة أخذها الحماس

فأصبحت كالمهرج الذي لا يتقن دوره وهي تفرغ إحساسها
الجميل على شكل حركات غبية وغير مفهومة. لكنها كانت
بحاجة للتفريغ وإلا كانت ستموت فرحا هذه المرة

ارتمت ياسمين على الأريكة الكبيرة والوفيرة في الصالون من شدة
التعب من الرقص والضحك، وارتمت حنين بحضنها وهي
لا تمل من الضحك والإعجاب.

قالت حنين...

كنت أتوقع أن تصابي بصدمة بعد انفصالك من أبي.

ياسمين...

وأنا أيضا كنت اعتقد أن انفصالي عنه نهاية العالم، لكن اتضح
أنها بدايته.

حنين...

لازال هناك أمل في داخلي أن تعودان يوما لبعضكما.

ياسمين...

مستحيل.

لن أعود جارية لرجل قاسٍ لا يجيد إلا احتقاري، ولا يتقن إلا أذيتي.

بدا على ياسمين الانزعاج لأنها تذكرت أدهم وأعماله السيئة بحقها، فقررت حنين استبدال الموضوع وقالت وهي تعيد رأسها إلى صدر أمها:

ما رأيك أن ندعو عمر وضياء والخالة منال على العشاء.

ياسمين فكرة رائعة وستختارين أنتِ المكان وستكونين ضيفة الشرف هذه الليلة وأنا سأتكفل بكل مصاريف الحفل الصغير.

حنين...

هنا في شقتنا.

ياسمين...

لا: مستحيل.

حنين...

سنستدعي الخالة منال بوقت مبكر وسنستمتع بصنع
الطعام، وسنقدم أجمل الأكلات الشامية حيث أن الأوان
لنبرهم بعد ما اهبرونا قبل اليوم.

ياسمين...

معك حق يا أميرتي وستكون للقهوة والسمر نكهتها المميزة.

سأتصل بمنال الآن فوراً.



سرُّ القلبِ
حكايةُ نبضِ
تُحييه أو تُميه
أنتَ بطلها

في الرابعة عصرا كانت منال تتناول القهوة في بيت ياسمين.

منال...

أتعرفين أنني اشعر بحماس رائع بعد أن كنت أعاني
اكتئاب، يبدو أنك تؤثرين في كثيرًا.

ياسمين...

أنا سعيدة للغاية.

منال...

أعطني سيجارة فانا احتاج لبعض النشوة.

ياسمين...

لن أكون صديقة سوء.

منال...

بل أنت أسوء من عرفت على الإطلاق، ولكن قلبي الأحمق عاشق

لك.

ياسمين...

وهل أرسلنا بطلبك لتتمددي وتستمعي بالتدخين مع القهوة ؟

أنهضي .. أمامك عمل شاق كثير.

منال...

وهل اتصلت بضياء وأبلغته بدعوتك الملكية.

ياسمين...

أكيد في تمام السادسة سيكونان هنا.

منال وهي تهمس بأذن ياسمين :

بالأمس اتصلت بعمر هاتفيا.

ياسمين...

اها هذا تحرش علي، والله أخاف على هذا الشاب منك
ستفسدين أخلاقه.

منال...

خجله سيقتلي رغم قوته الجسدية وطوله الجميل ورجولته
الجدابة إلا أن ما ينقصه الكثير من الجرأة مما يدفعني لأن
أكون أنا المبادرة دائما، ليته بوقاحة ضياء ومشاكسته.

ياسمين:

وهل تحرش بك ضياء ؟

منال:

يا خبيثة وهل يرى أحدا ذلك الضياء غيرك.

ضحكت ياسمين وقالت مستفزة لمنال...

عكس ضياء المشاكس كله جرأة فهو من اتصل بي ليلة أمس
وبقيننا نتحدث هاتفيا حتى أكثر من ساعة.

منال بصوت عالٍ...

وبما تكلمتما أخبريني؟

زجرت ياسمين منال بعينها وهمست بإذنها:

لا تنسي نفسك فابنتي قريبة منك.

لم تكن حنين قليلة الذكاء فعرفت أن الصديقتين
تتهامسان لأمر بينهما، فانسحبت لبعض الوقت لتمنحهما
الحرية لإكمال حديثهما السري.

كانت عيني ياسمين تشع حبا وسعادة وهي تروي لمنال
تفاصيل حديثها مع ضياء وقفشاتة التي لا تنتهي.

منال:

أول مرة أراك وأنت تتحدثين بفخر عن علاقتك بذلك الشاب
بينما كان الإحباط والخيبة سمة الحديث عن زوجك السابق.

ياسمين:

أوه يا منال مالك وذكرى توجع القلب وتستل من الروح
الفرح، ليتني تعرفت بضياء قبل اليوم لتغير مجرى حياتي،
وكنت الآن أسعد زوجة في العالم.



أخضتُ عُجيني الوقتِ

وسرقتُ منك سلمي ..

وصل عمر وضياء في الخامسة مساءً أي قبل الموعد بساعة فالشوق حاكم لا يرفض له طلب. مما أتاح لهم أن يتعلموا شيئاً من طريقة عمل الأكلات الشامية، بينما تخصصت حنين بصنع المقبلات الحديثة والمتزاوجة مع الموروث الشامي الرائع.

الغريب في الأمر أن حنين كانت سعيدة جداً بضياء ومهتمة به كثيراً وخصوصاً بعدما دخل بسجال شعري مع ياسمين حيث كانت تقدم الدعم والتشجيع لضياء، مع أن الاثنين كانا يحفظان الكثير جداً من أشعار نزار وجبران وليعة عباس عمارة وبدر شاكر السياب والجواهري وعبد الرزاق عبد الواحد والكثير من شعراء العرب القدامى وما هي إلا لحظات حتى تفتق الشعر عند الاثنين.

كانت حنين تصفق بشدة عندما كان ضياء يبادر ياسمين
بقصيدة أو ومضة وتصفق مرة أخرى عندما تجيبه أمها
بارتجال ومضة أو بتذكر شعر لأحد الشعراء.

بينما راح عمر ومنال يضحكان ويشجعان هذا ويستثيران ذاك
كي يحضياهما بمتعة اكبر.

لم يكن العشاء اقل روعة من الجلسة الشعرية بل كان
الضحك متواصلا لدرجة أن ياسمين قالت لضياء أن مقدار
ما ضحكتم به اليوم يعادل ما ضحكتم طوال عمرها.

قال عمر...

نحن في العراق عادة نتبع العشاء بشاي منكه بالهيل وأهل
الشام يتبعونه بقهوة، لكن للقهوة عندكم طعم آخر يمنحها
رقيا وروعة.

تبرعت منال لعمل القهوة لتستعرض مهاراتها بصنعها
وطلبت من عمر مرافقتها للمطبخ كي تعلمه طريقة إعدادها
فالتحقت بهم حنين وهي تتأبط ذراع عمر الطويل جدا ذو
العضلات القوية.

بقي ضياء ياسمين وحدهما في الصالة الجميلة، فارتخت
ياسمين على الأريكة الوفيرة والمريحة وانزلقت وأغمضت
عينها الرائعتين فبدتا أجمل بظهور الظلال عليهما وبروز الكحل
الذي منحها فخامة.

ضياء...

يبدو أننا أتعبناك اليوم يا دكتورة ؟

ياسمين...

بل أتعبني الفرح يا ضياء، فأنا من الناس الذين يتعبهم
الفرح لأنني لست متعودة عليه.

ضياء...

أيعقل أن دكتورة ناجحة وغنية لا تمتلك الفرح ؟

ياسمين وهي مستمرة بإغماض عينها:

نعم لم أعرف الفرح إلا هذه الأيام.

ضياء...

وهل نحن من منحك الفرح ؟

ياسمين وهي تنزلق أكثر على تلك الأريكة وكأنها تسلم
جسدها الجميل لأحضان أريكتها الكبيرة والوفيرة.
نعم .

نهض ضياء وجلس بجانب ياسمين وراح يملأ مخزون روحه من
جمال هذه المرأة المملوء مشاعر وأحاسيس وكعادته كانت
الجرأة سمته الطاغية فأقترب من ياسمين أكثر وقبلها من
رأسها وراح يشم عطر شعرها الجميل.

نزلت دمعة جميلة من عين ياسمين الكبيرة نسبيا لتعلن عن
فيض مشاعر وحنين.

مسح ضياء دمعته بأصبعه وقال لها...

دمعة ؟

ياسمين...

ليس كل الدمع تعبير عن حزن، بعض الدمع إعلان عن الفرح.

لم تشعر ياسمين إلا ورأسها قد مال على صدر ضياء وراح
يداعب أنفها عطره الرجولي الصارخ فحولة،

ليوقظ فيها الأنثى التي ماتت قبل عشر سنوات وأكثر، إذ أن علاقاتها الزوجية مع زوجها كانت تفرغ للجنس فقط، ولم تكن تحمل رغبة عاطفية أبدا، حيث بدأت تلك الرغبة تقل تدريجيا بتكرارها حتى انتهت قبل خمس سنوات بانفصال الاثنين كل في غرفة مستقلة.

راح ضياء يلعب شعر ياسمين الجميل والمصفف بطريقة رائعة، فانتابته رغبة عارمة لتقبيل ياسمين، فمد يده ورفع وجهها باتجاه وجهه وما أن اقتربت شفثاه من شفثاها، سمع الاثنان صوت الثلاثة قادمون وهم يحملون فناجين القهوة والضحك يملأ الأجواء فانفضوا واعتدلوا بجلستهم.

قالت منال...

عمر من اعد القهوة.

كانت القهوة رائعة جدا ومدحها كل من ياسمين وضياء.

فردت منال...

يا جماعة أنا من علمه ولولاي لما نجح، رجاءً بعض المديح للمعلم، أم أن التلميذ سيأخذ كل المديح.

عاد الجميع لنوبة الضحك الذي لم يتوقف منذ بداية اللقاء.

خاطب ضياء عمر قائلاً...

من اليوم ستعد القهوة لي يا صديقي يومياً.

عمر مستهجنأً...

يا سلام... يوم علي ويوم عليك.

ضياء...

أنا لا أعرف إعدادها أما أنت فتلميذ دكتورة منال العالم.

أنفجر الكل ضاحكا من جديد حد أن حنين صارت
الدموع تسقط من عينيها من شدة الضحك.

عمر:

جد من يعلمك أذن.

ضياء:

ستعلمني منال إعدادها.

عمر:

لا منال معلمتي الشخصية ابحت لنفسك عن معلمة أخرى.

انبرت حنين وقالت أنا أعلمك يا ضياء ولنرى من سيعد القهوة أفضل، نظر ضياء إلى ياسمين واكتشف رغبته أن تكون هي معلمته، لكن حنين كررت رغبته ثانية.

تمنى ضياء لو أن ياسمين أسرع قليلا لكي يحضى بحبيبته هناك فرغبته بتقبيلها مازالت قائمة.

نهضت حنين من مكانها وأمسكت يده الكبيرة بيديها الغضبتين وراحت تجره وتقول قم أيها الكسول.

لم يجد ضياء أمامه إلا النهوض وأتباعها وهي تجره وتقول ما أثقلك.

تأبطت ذراعه وهي تقول مرحة تعال أعلمك يا ولدي،

في المطبخ سألت حنين ضياء...

هل أنت متزوج ؟

ضياء...

لا

حنين...

كيف هجرتك حبيبتك؟

ضياء وهو بيتسم...

كيف عرفت أن لي حبيبة وهجرتني؟

حنين...

تنقصك الجرأة، والفتيات يعشقن الجريء فقط والمبادر.

اتسعت بسمه ضياء أكثر وقال...

ربما.

أمسكت حنين يد ضياء برقة وهي تقول:

عليك أن تعد معي: لكل خمسة فناجين من القهوة

خمسة ملاعق من البن:

واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة.

وخمسة فناجين من الماء: واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة.

عرف ضياء أن حنين تطيل بالعد والغاية هي الاستمرار بمسك
يده فسحب يده وقال:

أعرف العد معلمتي فأنا أعمل كمدرس.

رفعت رأسها باتجاهه بنظرة كلها أنوثة.

أعان الله زميلاتك.

ضياء مستغربا...

لما ؟

حنين...

حلو زيادة.

ضياء...

من ؟

حنين...

لو وضعت أكثر من خمسة ملاعق سكر سيكون فنجان
القهوة حلو زيادة.

انفجر الاثنان ضاحكين وكل يعرف مقصد الآخر.

كانت ياسمين تتحرق لمعرفة أسباب الضحك وخصوصا أن وقت التحضير للقهوة قد تضاعف، وهي تجلس وحيدة، فمنال وعمر اندمجا بحديث همس تفوح منه روائح الغرام.

لم تشعر ياسمين بالغيرة قبل أعوام كثيرة، بكثرة خيبتها بزوجها المتحجر، فقد خنق كل مشاعرها الأنثوية وسجن أنوثها بسجن كبير أسمه الإهمال.

بعد دقائق جاء ضياء يحمل الأكواب بنفسه وحنين تتأبط ذراعه وتضحك، وياسمين تتفحص ضياء بعينها باحثة عما يدل على ما جرى في المطبخ أما ضياء أفقده الضحك الاتزان وراحت فناجين القهوة ترتجف أو تشاركه تلك الفناجين الرقص فرحة.

قدم ضياء القهوة للجميع وجلس بجانب ياسمين التي لم تنتظر سؤالها عن جودة الصنع فقالت...

سيئة للغاية.

وافق رأي ياسمين كل من عمر ومنال، بينما قالت حنين:

واو أنها ألد قهوة تذوقتها في حياتي.

فرد عليهم ضياء مغيظا لهم...

وأنا لا يهمني إلا رأي (حنونة) فقط.

ضحكت حنين من قلمها وقالت شكرا (ضيو) ضحك الجميع إلا ياسمين التي اشتعلت غيرتها.

لاحظ ضياء الوجوم في وجه ياسمين وراحت تهز رجلها

توترا وغيضا لكن لم يخطر بباله أن ياسمين تغار من أبنتها
أو بالأحرى لم يكن يقرأ عيني حنين التي راحت تشع حبا
وإعجابا. فالنساء يعرفن بعضهن أكثر من الرجال.



جُنُودِ حَائِقًا
وَقَلْبِي مَأْوَى
أَوْ قَفِي لَعِبَةِ الزَّمَنِ
وَلِنَسَاهِي رَوْحِي بَرُوحِ .

انسحبت ياسمين وجلست في مكانها المنزوي وحدها،
اكتشف ضياء غيابها بعد لحظات من مغادرتها وبعد أن
بحث بنظره اكتشف مكانها السري في نهاية الصالة الكبيرة
قرب الممر المتجه للغرف الداخلية.

أتجه ضياء للمطبخ وبعد دقائق عاد وهو يحمل فنجانين
من القهوة ووضعها على المنضدة الصغيرة وجلس أمام ياسمين
وقال:

أتسمحين لي بالدخول ؟

ابتسمت ياسمين بحزن وقالت:

تقصد: أتسمحين لي بالجلوس.

ضياء:

لا بالنسبة للجلوس فقد جلست وانتهى الأمر، أتسمحين لي
بدخول عالمك الخاص.

ياسمين:

أنت الوحيد الذي يمتلك القدرة على إدهاشي.

ضياء وهو يتبسم:

دائما تمنحيني قدرا من الغرور.

ياسمين مع ابتسامة جميلة بددت بعض غيوم وجهها لتشرق
تلك الشمس الرائعة:

يحق لك الغرور يا ضياء فهو لا يليق إلا بك.

أدار ضياء رأسه وهو يطالع المكان المنزوي حيث كانت
الستارة الحمراء الداكنة والمنضدة ذات الكرسيين ومنفضة
السجائر المختلفة وقال:

أرى أن هذا المكان كمحراب للتأمل، تجرى فيه طقوس معينة، فكل ما حولي يختلف تماما عن الأثاث في باقي الشقة.

ياسمين:

كيف لك هذه القدرة على قراءة الأشياء فكل شئ حولك مكشوف لك، أمتأكد أنك لا تملك قدرات خارقة أو أنك تصنع السحر؟

ضياء وقد اقترب بوجهه من ياسمين التي اتكأت على إحدى يديها:

عندما نعشق بصدق نسعى لفهم من نحب، الأمر لا يحتاج لقدرة خارقة، فالإيمان بالحب هو من يمنحنا القدرة على معرفة كل ما يحيط بنا.

ياسمين:

ليس بالضرورة: البعض رغم عشقه الكبير لكنه يسيء لمن يعشق.

ضياء:

أشربي قهوتك وأعطني رأيك؟

ارتشفت ياسمين من الفنجان رشفة واتبعها رشفة أخرى

وقالت:

لذيذة.

ضياء مع ابتسامة رائعة:

كيف ولم أضع فيها قطعة سكر.

ياسمين:

لم أشأ أن أحببك وأنت تعد القهوة للمرة الأولى في حياتك.

ضياء:

تعمدت أن لا أضع السكر لاختبر احتمالك لي ولحماقاتي.

ياسمين:

وهل نجحت باختبارك سيدي.

ضياء:

وبتفوق.

ياسمين:

أنت تدهشني بذكائك ثانية.

ضياء:

وأنت تدهشيني برقي أخلاقك وشخصيتك.

ياسمين:

عرفت الكثير من الرجال طوال عمري البالغ الثانية والأربعين، اليوم تأكدت أنهم كلهم يدعون الرجولة، وان الرجولة مقاس أكبر منهم جميعا.

ضياء:

كانت والدتي تلح علي بالزواج وتسألني دائما (الم تجد في حسناوات بغداد كلها من تثير رجولتك) ليتهما تراك وتستمع لحديثك، لعرفت الآن معنى كلمة امرأة تستحق أن انتظرها عمرا كاملا.

ياسمين:

أنت تحملني مسؤولية كبيرة يا ضياء.

نزلت دمعة من ضياء مسحها قبل أن تغادر مرفأ عينه،
فاستغربت ياسمين من تلك الدمعة وسبب بكائه فلم تستطع
إلا أن تسأله:

أتبكي؟

ضياء:

لا أبكي:أنما أنا انزف.

ياسمين:

أخبرني سبب بكائك أرجوك.

ضياء:

لا تشغلي بالك واتركي الأمور على حالها.

ياسمين:

منذ أن اجتزت الاختبار واحتملت مرارة قهوتك، التزمت
معي باتفاق لا يجوز لك كرجل أراك الأوحده بالتراجع، أخبرني
الآن ما أبكاك؟

ضياء:

بعض الأمنيات ننتظرها أعواما، نتخيلها ونتخيل استمتاعنا بها، نحفل بها وهي خيال مطلق، وعندما نعتقد أن السماء قد منحتنا نعمة تحقيق تلك الأمنيات، نجد أن تلك الأمنيات بتقادم الزمن وتغير الظروف تحولت لعقوبات لقلوبنا الطيبة، التي يعاقبنا القدر بها دون ذنب أو جريمة.

ياسمين:

كن شجاعا ولا تنتظر و أقطف أمينتك، فأمينتك تنتظر
قطافها.

ضياء:

بحثت عن أميني عمرا كاملا ولما وجدتها اكتشفت أني ما
عدت قادرا على قطفها، أترين عذابا أكبر من هذا يا أميني.

ياسمين:

أمينتك تمنحك كل ما تملك روحها وقلها فلا تخف وابشري.

ضياء:

قبل أسبوع من اليوم لم أكن أخاف من الموت ولا أقيم
له اعتبارا، واليوم صرت كالطفل الذي يراه كابوسا عند المنام.

ياسمين:

أبعد الله عنك الموت فأنت في عز شبابك وأمامك الكثير من
العمر فأنت لم تبلغ من العمر إلا منتصفه أو اقل.

ضياء:

أنا قد أكون مصابا بورم خبيث جاء ليعلن موعد مغادرتي
من هذه الدنيا التي كانت رخيصة والتي تحولت بمعرفتك بلحظة
إلى ثمينة.

ياسمين:

لكنك قلت أن عمر هو المريض وكان يبدو عليه أنه بصحة
جيدة لذلك كنا متساهلين في الأمر.

ضياء وقت تساقطت الدموع وامسك بيد ياسمين:

ياسمين: لا أريد الموت، أريد أن أحيأ معك وأتزوجك وأحقق
لامي أمنيتها بأن ترى أطفالي.

تركت ياسمين ضياء وأسرعت لغرفتها كالمجنونة فتحت
حقيبة اليد الخاصة بها وراحت تبحث فيها فلم تجد ضالتها،
فاضطرت لقلب الحقيبة وإفراغ محتواها، تركت الحقيبة

والغرفة واتجهت للمطبخ وعادت جلست وهي ما زالت تبحث
كالمجنونة عن شيء.

نهض ضياء وعاد بعد لحظات حاملا علبة السجائر والقداحة
وقال: لياسمين:

أهذا ما تبحثين عنه؟

أطالت ياسمين النظر في وجه ضياء وتمنت لو أن
بمقدورها أن ترتمي بحضنه وان تحتضنه بقوة وتقول له
احبك جدا.

أشعلت سيجارتها دون كلام وأخذت نفسا ثانٍ وثالث
وهي تستنجد بالسيجارة أن تمنحها بعضا من الدعم إذ طالما
كانت الداعم لها في مواقف كثيرة، لكن هذه المرة لم تكن
السيجارة بقدر المسؤولية فقد خاب ظن ياسمين بها، فتركت
ضياء الذي كان يراقبها واتجهت لغرفتها لتفرغ مخزون دمعها
الذي لا ينتهي هذه المرة.



حين يُحِينَا الحُبُّ

كيف للموتِ أن ينص ؟!

عادت ياسمين بعد عشر دقائق وقد تماكنت نفسها وقالت
لضياء:

لا تخف يا ضياء لن ادعك تموت، ستكون حربي التي لن
اخسرها.

ضياء:

سأكون مطيعا لك واعدك بذلك.

ابتسم الاثنان وعادا يحملان الأمل من جديد، استمرت جلسة
السمر حتى وقت متأخر وكانت الليلة الأجمل بتاريخ الجميع.

استيقظ عمر على صوت ضياء في السابعة صباحا وهو يقول:

استيقظ أيها الكسول فقد أكملت الفطور وما عليك إلا الأكل .

قال عمر وهو لا يصدق ما يرى:

معقولة! الساعة السابعة الآن ضياء مستيقظ لا اصدق ما أرى.

ضياء:

إن تأخرت علي سأذهب للمستشفى وحدي.

عمر:

يا رجل خفف زياراتك قليلا واترك المرأة تمارس عملها أو
زرها في نهاية الدوام الرسمي.

ضياء وهو يضع الفطور على المنضدة:

تعال كل شيئا.

عمر:

لاااا مستحيل، الآن تأكدت أنني في حلم سأكلمك عندما أصحو
منه.

ضياء:

سأغادر بعد ربع ساعة ولن أنتظرك.

عمر:

أقسم أن تلك الياسمينه قد أفقدتك وعيك.

ضياء:

بل قل أعادت لي الأمل بالحياة، هي أعطتني سبباً للحياة
لذلك قررت العلاج، فأنا كنت تريد لصديقك أن يبقى
معك رفيقا لا ذكرى جميلة أنهض الآن وبسرعة.

وصل ضياء وعمر إلى المستشفى الكبير واتجها إلى قسم
الأورام مباشرة، وكانت ياسمين لم تصل بعد فجلس الاثنان
ينتظرانها وبعد عدة دقائق وصلت ياسمين وبعدها منال
وراح الجميع يعمل بسرعة وبدقة لتشخيص حالة ضياء، بدءا
من التشخيص السريري الذي بدأت به ياسمين مرورا
بتحليل الدم التي تبنت متابعتها منال.

جلس ضياء وياسمين ومعهما عمر في استراحة المستشفى
لشرب فنجان قهوة وقد رافقهم كل من القلق والتوتر
وقاسمهم الوقت بالتساوي.

وقبل أن ينهضوا جاءت منال تحمل أوراق التحاليل وتقرير
الموجات الفوق الصوتية (السونار) وكل ملامح وجهها تنذر
بالسوء،

أعطت كل ما تحمل من أوراق إلى دكتورة ياسمين التي أظلمت
الأجواء في ملامحها، وكأنها استنسخت ملامح منال وقالت
لضياء...

حدث ما نخشاه أنت مصاب بورم، وأمامك حل واحد يا ضياء.

ضياء...

وما هو؟

ياسمين عليك السفر للأردن أو لبنان فهم الأقدر على
تشخيص مكان الورم ونوعه أن كان ورم سرطاني أو ورم عادي
يمكن استئصاله

ضياء...

مستحيل أن أتركك وأسافر.

ياسمين:

عندهم جهاز (البيتاسكان) ولهذا الجهاز القدرة على كشف
مكان الورم، أما نحن فنتعامل مع السرطان بأساليب
قديمة وغبية تمنح النصر للسرطان دون مقابل.

ضياء...

أفضل قضاء ما بقي لي من أيام معكم على أن أتغرب ثانية.

منال...

عليك التحمل والمحاولة.

ضياء...

هل تضمنين النجاة يا منال لو غادرت سوريا؟

منال...

ذلك يعتمد على نوع السرطان ومراحل انتشاره.

ضياء...

إذن لست بضامنة.

أخفضت منال رأسها معلنة بذلك أنها ليست ضامنة.

نهض عمر من مكانه وقال بصوته الجهوري...

ليس الأمر على هواك يا صاحبي، أن لم تطع ياسمين
ومنال سأتصل بالوالدة وأخبرها، فهي الوحيدة القادرة على
الضغط عليك.

ضياء...

إن أخبرتها يا عمر ستموت في اليوم ألف مرة خوفا وقلقا،
لكن أن وصلها خبر موتي ستموت مرة واحدة، أرجوك بحق
الأخوة التي جمعتنا ألا تخبرها.

جلس عمر وهو يعلن استسلامه لضياء

التفت ضياء إلى ياسمين وقال...

أنا مؤمن بك حد اليقين وأعرف أنك منقذتي.

ياسمين...

أنت طفل عنيد وأنا لا قدرة لدي على الإقناع، علينا
استئصال إحدى الغدد اللمفاوية وزرعها وسنكتشف عندها
أن كان الورم سرطاني أم ورم حميد.

ضياء...

أذن لازال هناك أمل.

ياسمين:

عليك المقاومة وأن تؤمن بأنك المنتصر وستنجو أكيد.

ضياء...

هيا نذهب للغداء فقد صارت عصافير بطني تصرخ

ياسمين...

لا أصدق انك عاقل؟

كيف لك أن تشتهي الطعام بعد هذا الخبر.

ضياء:

لن أمرض ولن أستسلم له، فأنت قوتي وبك سأنتصر، أحبك.

صفق كل من منال وعمر بينما خجلت ياسمين جدا وقالت ما

هذا الكلام يبدو أنك بدأت الهديان منذ اليوم.

قالت منال ممازحة:

الموند في حضر الياسمير ----- ضريحه علوي

باسم الصلاحيات الممنوحة لي أعلنكما الآن عاشقين حتى النهاية.



للحب طريق آخر

قد يودي بنا للهلاك !

رن هاتف ضياء فقرأ اسم المتصل فإذا بها حنين.

ضياء:

مساء الياسمين.

أجابت حنين بطريقة كلها دلال:

لا تكلمني غاضبة منك جدا.

ضياء مستشهدا بأغنية كاظم الساهر:

(ازعل الدنيا كلها ولا مكروه يمسك).

حنين:

أغضبتني الآن أكثر.

ضياء:

ولما أكثر؟ نحن نتمنى رضاك ست الحسن والجمال.

حنين:

لم تكمل كلام كاظم.

ضحك ضياء ضحكة طويلة جدا وأكمل:

أنت مدهشة من أين لك كل هذه خفة الدم.

حنين:

لا تراوغ اعد كلام الرجل ولا تبتلع كلمة، أين الأمانة الأدبية.

ضياء بخبثه اختار أن يختبرها:

حبيبي.

حنين:

الآن اعتدل النصاب.

ضياء:

من أجل كلمة واحدة نقص أقمّت الدنيا، ولما نقصت الجملة
ست كلمات تقولين اكتمل النصاب لا أراك عادلة؟

حنين:

ربما تكون كلمة لكنها اختزلت الكون كله.

ضياء:

أتفق معك جدا غلبتني، أتمنى أن تسمعها وتنتشين بها
عندما يناديك بها حبييك.

حنين:

وقد ناداني بها وارتويت.

ضياء متغابيا:

أها، يعني أنت عاشقة لزميل لك؟

حنين:

لا يليق بك الغباء يا... حبيبي

ضياء:

الساعة الثانية عشر والطلبة أمثالك عليهم النوم.

حنين:

احبك.

ضياء:

وأنا أحبك أيضا.

حنين:

واو يعني كان لازم أفتحك أنا يا ثقيل.

ضياء:

وهل يحتاج الأمر لمفاتيحة.

حنين:

ألد ما تسمع الفتاة هي أول (احبك) ينطقها حبيها، فتلوز تحت عباءة الخجل لكنك حرمتني من تلك اللحظات الفريدة.

ضياء:

أنت أبنتي ومن الطبيعي أن احبك من أول يوم عرفتك به.

حنين:

أبتك؟

ضياء:

أكيد أبتي الحبيبة.

حنين:

قتلتي يا اااا والدي

أغلقت الهاتف ورمته على السرير، دون وداع وراحت تعظ
شفتها أما وحرقة، واعترتها نوبة غضب فأخذت الهاتف
واتصلت بضياء.

أجاب ضياء:

نعم يا حنين.

حنين:

أنت تعرف أنني أحبك فلا تتغابي معي، وأنت تحبني فلا تنكري.

ضياء:

أحبك كابنتي لا غير، واهتمامي بك لأنك ابنة صديقتي.

حنين:

ستحبي رغما عنك.

ضياء:

أنت تحرجيني وتحرجين نفسك أرجوك كفى.

حنين:

الست جميلة كفاية؟

ضياء:

أنت أجمل الفراشات التي رأته عيني.

بكت حنين وهي تقول:

أرجوك أنا أحتاجك في حياتي.

سحب ضياء نفسها عميقا يدل على الحيرة بماذا يخبر الفتاة،

فأثر التأجيل:

اذهي للنوم وفكري بما قلت، تصبحين على خير.



مقطوعةٌ خطوتي إلى نصفينِ

والقلبُ أشلاء

كيف للروح أن تُعني ؟

كان الصباح جميلاً ودافئاً ولاسيما بعد اتصال ضياء وقوله
لها (صباح الخير) فنهضت ياسمين وهي متفائلة بيوم جميل
وبغد أجمل وبعد أعداد الفطور كعادتها الجديدة بعد أن كانت
لا تعرف معنى الفطور الصباحي.

لاحظت أن حنين لم تنهض كما تفعل كل يوم، فاتجهت إلى
غرفتها وطرقت الباب عدة مرات دون إجابة منها، اضطرت لفتح

الباب فوجدتها تغط بنوم عميق ورائحة غريبة في الغرفة لم تعرف ما هي.

راحت تداعب شعر أبتها الذهبي الطويل وهي توقظها، لكنها صدمت بعلبة السجائر الخاصة بها عند رأس حنين فعرفت أن الرائحة هي رائحة السجائر فأصرت ياسمين على إيقاظ أبتها فتحت حنين عيناها وكن حمراوتين كالجحيم فخافت ياسمين من المنظر وقالت:

مالك حبيبي أراك مجهدة ومتعبة؟

حنين لن اذهب للجامعة اليوم، اتركيني أنام فقد نمت للتو.

ياسمين وقد تحول خوفها إلى رعب حقيقي:

أخبري أمك الحقيقة؟

حنين:

أي حقيقة يا أمي؟

ياسمين:

هل دخنت ليلة أمس؟

حنين:

نعم.

ياسمين:

نعم!!

التدخين عادة سيئة ما أن تدمنيها لن تتركها أبدا.

حنين:

لم أجد من يواسيني بخيبيتي غير سيجارة نحترق أنا وإياها معا.

ياسمين:

أتستنجدين بسيجارة وأنا أمك لا أبعد عنك إلا أمتاراً، أخبريني
ما يزعجك؟

حنين:

أنا عاشقة يا أمي.

ياسمين:

الحب شئ جميل لكن ليس بعمرك فمشاعرك ما زالت
غير ناضجة وفوضوية، بعد التخرج والعمل ستكون
نظرتك للحياة أكثر وضوحا ومشاعرك أكثر عمقا ونضجا.

حنين:

ليت الأمر بيدي لكنه قلبي، وما على القلب من سلطان ولا حاكم

ضحكت ياسمين وقالت:

يبدو أنك غارقة يا حبيبي، ترى من سعيد الحظ الذي
أوقع برائحة الشام وسندرلته؟

حنين:

لن تلوميني عليه أبداً.

ياسمين:

وهل أعرفه؟

حنين:

الفضل كله يعود لك، فأنت من عرفني به.

ضحكت ياسمين ضحكة استغراب وخوف:

أنا؟ من هذا الشخص؟

حنين:

صديقك النبيل ضياء.

سألت ياسمين أبتها...

وهل ضياء يبادللك المشاعر؟

حنين...

أكيد طبعا.

كان جواب حنين صاعقة على ياسمين، فهضت تاركة أبتها وحدها تنادي أمها دون أن تسمعها.

دخلت ياسمين غرفتها وهي مبعثرة المشاعر تماما وهي لا تعرف ما الذي سمعته وان كان حقيقة أم خيال، أيعقل أن ضياء يخدعها، كيف وهو أنبل من عرفت.

تزاحمت الأفكار برأسها الجميل وهاجت كأن إعصاراً عبث بعقلها، أما عواطفها فلم تكن أقل رعبا من عقلها بل كانت بركاناً يثور و يمور مورا.

رن هاتف ياسمين فأجابت...

نعم يا ضياء.

ضياء...

الم تغادري الشقة بعد يا كسولة ؟

ياسمين ولن أغادرها اليوم.

ضياء...

كيف ولنا موعد اليوم مع الجراح ليرفع إحدى الغدد المتورمة
بغية زرعها والتأكد من نتائج الفحوصات والتحليلات،
وتعرفين أن وجودك ضروري بالنسبة لي.

ياسمين...

لن أحضر اعتذر لك.

ضياء...

لا وقت للمزاح أرجوك.

ياسمين:

ومن قال لك أني أمزح يا سيد.

ضياء:

قبل نصف ساعة كنت متحمسة والآن أنتِ شئٍ آخر،
أخبريني أرجوك ما سر هذا التحول.

كان الدمع يغزو عيني ياسمين وهي ترد على ضياء...

ليس هذا شانك.

عرف ضياء أن أمراً جلاً قد حدث لذلك قرر رفع مستوى
التحدي فقال لياسمين...

أن لم تأتِ فأني أقسم بعينيك لن أعمل العملية، وبالتالي
لن تجدي ما تزرعينه لتعرفي نوع الورم الذي عندي.

راحت تعظ على شفرتها فهي بين خيارين أحلاهما مر.

باءت كل محاولاتها بالفشل كي لا تبدو أنها باكية وقالت...

من الغد ستتكفل الدكتورة منال بمتابعة حالتك، فعليك منذ
الآن الاتصال بها في حالة أي استفسار، مع السلامة سيد ضياء.

أغلقت الخط وانفجرت باكية وهي تلعن حظها العائر
الذي جعلها تعشق شخص مخادع.



وردةُ الحبِ لا تذبُلُ..

لكن

قد يخففُ الشكُّ نذاها !!

رن جرس الباب أكثر من خمس مرات وياسمين لا تملك القوة على النهوض وفتحه، لكن إلحاح الطارق أجبرها أن تسيّر لفتحه وهي تلعن هذا اليوم وما به من أحداث.

كانت دهشة ياسمين كبيرة عندما وجدت أن الطارق هو ضياء، فمسحت عينها وانفها بمنديل ورقي كانت تحمله بيدها.

نظر ضياء نظرة حب لياسمين وقال:

ما الذي أزعجك يا روجي.

ياسمين:

لا شئ.

فأشتعل الغضب فيه لكنه نجح بكتمانه:

ما لذي ألم بك لتتصرفي هكذا.

ياسمين...

لا شئ

ضياء...

أحاول ألا أنفجر، أجيبني أرجوك من حقي الدفاع عن نفسي
إن حصل سوء فهم، أو حتى الاعتذار أن أخطأت بحقك.

ياسمين...

لم تخطأ أبدا، أنا من أخطأت كعادتها في الاختيار.

دخل ضياء الشقة وأغلق الباب بعده وأمسك بيديها:

أرجوك اخبريني ما المشكلة واعديك أنني أتركك وأغادر حياتك أن
أذنبت.

ياسمين...

أنت غادرتها بالفعل سيد ضياء.

أخفض ضياء رأسه محاولاً أخفاء غضبه الذي جعله كبركان
ينتظر لحظة الانفجار، لكنه تمالك نفسه ثانية وبعد لحظات
قال...

أنت تقتليني بفعلك هذا، فقط أخبريني بما أذنبت.

ياسمين وهي تنظر في عيني ضياء...

أجمع حقائق الذكريات واحملها بعيداً فما عاد بيننا حتى
الصداقة، انتهى وقت الزيارة سيد ضياء.

استدار ضياء وخرج دون أي تعقيب فما عادت مفرداته
كلها تنفع مع تعنت هذه المرأة المختلفة.

أغلقت ياسمين الباب واتكأت عليه وراحت تفرغ حرقتها
بصرخة مكبوتة، فحتى البكاء محرم عليها الآن كي لا تفضح
حبها لضياء، فهي ترى نفسها أرفع من أن تدخل في منافسة
مع أبنيتها الوحيدة، لكن كيف ستحتمل أن تعيش ابنتها علاقة

حب مع من أعلن حبه لها وأعلنت حبا ضمنا له، تزاومت
الأفكار في رأسها وأحرقت النار روحها.

عاد ضياء إلى شقته وهو فاقد للوعي تقريبا، فهو مشغول
بإعادة مسلسل ذكرياته باحثا عن خطأ ارتكبه وهو لا يعرفه أو
لم ينتبه له.

صرخ عمر بوجهه...

يبدو أنني من قام بحسدك يوم تحولت لملتزم بالمواعيد
أنسيت أن اليوم هو موعد عمليتك يا أحمق.

لم يجب ضياء صديقه بكلمة واحدة بل دخل الغرفة وهو
يمشي ببطء فما حملته ياسمين لذلك المسكين أكبر من أن
يحملة جبل.

عاد عمر يكلم نفسه وضياء بذات الوقت...

يا أحمق... يا الله كم لهذه الكلمة من لذة حَرَمْتَنِي منها أياما
يا رجل، لكن أقبل بحرمانى شرط أن تعمل العملية.

لم يجب ضياء بكلمة وارتمى على سريره.

صرخ عمر...

على الأقل اخلع حدائك.

ضاع ضياء في بحر من الخيبة والإحباط والحيرة، فهو لم يجد ما يلوم نفسه به ويحملها لتغير ياسمين المفاجئ.

فهم عمر أن وضع صاحبه خطير وعليه ترك المزاح واخذ الموضوع بجدية أكبر، فجلس عند رأس ضياء وقال له...

أخبرني ما الذي جعلك تتركني في وسط الطريق للمستشفى والذي أعادك شبه فاقد للوعي للبيت .

ضياء...

ياسمين.

عمر...

ما الذي حصل لها؟

ضياء...

تغيرت علي فجأة ودون أي سبب ففي الصباح كانت
متحمسة جدا وبعد أقل من ساعة تقول لي غادر حياتي، أكاد
اجن يا عمر.

عمر...

لا أصدق أنها فعلت هذا دون سبب، فياسمين إنسانة راقية
جدا وأنا متأكد أنك أذنبت بشي معها حاول فقط أن
تتذكر فأنا أعرف مشاكساتك وحماقاتك.

ضياء...

ليتني أعرف بما أذنبت.

عمر...

صديقي العزيز عندما تعمل العملية ستزورك وسنعرف حينها.

ضياء بالكاد يخرج منه الكلام...

قالت لي أن منال هي من ستتابع حالتي منذ اليوم.

عمر...

لأنها غاضبة فقط . لتقل ما تشاء المهم أن حياتك في خطر
علينا أجراء رفع الغدة الملتهبة لنعرف نوع ذلك الورم أرجوك
فهو يداهمنا وينهب من أيامك كالسارق المحترف.

ضياء...

ما عادت لروحي أهمية الآن، دعني أموت بسلام.

رن هاتف عمر وكان المتصل منال.

عمر...

صباح الخير يا عمري.

منال...

تأخرتم كثيرا والطبيب الجراح ينتظر منذ نصف ساعة
وما زلتما في الشقة معقولة؟

عمر...

ضياء وياسمين متخاصمان وأنا علي إرضاء الطفل الذي معي
وأنت عليك فهم سبب الخصام من ياسمين رجاء.

منال...

صدقت هما طفلان وأحمقان وعلينا تحمل حماقاتهما.

عمر ضاحكا...

أحمق تلك الصفة التي أطلقها على ضياء يبدو أنه أصاب

ياسمين بالعدوى.



كطير جبري

أسقط رفاق سمب

في أرضي لم يعد لي فيها: هديل !!

طُرق الباب في شقة ياسمين بقوة دون أن يفتحه أحد ،
فاضطر الطارق للطرق أقوى وأقوى لدرجة أن حنين استفاقت
من غيبوبتها إن صح التعبير، فاتجهت إليه مباشرة وفتحته
لتجد أن دكتورة منال هي من كانت خلفه فقالت:

مرحبا دكتورة.

دخلت منال الشقة وهي معكرة المزاج وهي تقول بصوت معاتب.

ساعة... ساعة وأنا اطرق الباب أين أمك يا حنين؟

حنين...

هي في المستشفى أكيد.

منال...

ليست في المستشفى ولذلك أنا هنا ابحت عنها.

حنين...

اتصلي بها واعرفي منها أين هي الآن.

منال...

لو كانت تجيب ما حضرت بنفسي باحثة عنها وتكلفت عناء
المجيء وترك عملي.

حنين...

وأين ممكن تكون ؟

ارتمت منال بكل جسمها على الأريكة الكبيرة والوفيرة وقالت...

ستقتلني هذه المرأة، أقسم أنني سأصاب بالجلطة بسببها.

حنين...

ساعد لنا فنجان قهوة فالساعة الآن قاربت على الثانية عشر،
لكن اسمحي لي أن اغسل وجهي أولاً.

اتجهت حنين للحمام المتوسط غرفتها وغرفة أمها،
وجدت ياسمين جالسة على سريرها وقد وضعت رأسها بين
رجليها وهي تدخن بصمت.

عادت حنين مسرعة إلى منال وهمست بصوت منخفض...

أمي موجودة في غرفتها.

منال...

أيعقل كل هذا الطرق وهي نائمة.

حنين...

هي ليست نائمة بل فاقدة للوعي.

انتفضت منال من مكانها واتجهت لغرفة ياسمين وجلست
على السرير أمامها بينما راحت حنين تراقب منظر الوالدة
المخيف من الباب، فقد كان الشعر مبعثر والوجه مظلم
وتعيش في عالم آخر.

قالت منال بعصبية:

لِمَ لم تجيبي على اتصالاتي؟

بقيت ياسمين على صمتها ولم تنطق بحرف واحد.

عرفت منال أن أمراً كبيراً يحدث لأنها تعرف ياسمين حساسة ويمكن لأي شئ أن يجرحها فأشارت بنظرها إلى حنين أن اخرجي واتركينا.

فهمت حنين الذكية مراد الدكتورة منال فأغلقت الباب بعد أن
قالت:

ساعد القهوة لأننا بحاجة لها.

غيرت منال جلستها بحيث صارت خلف ياسمين لتقترب منها
أكثر وسألتها:

ما الأمر يا صديقتي ما الذي حصل.

ياسمين:

حصل ما لم يكن يخطر على بال.

منال...

لا تقلقيني أكثر أرجوك أخبريني وبسرعة

أرادت ياسمين إشعال سيجارة أخرى بعد نفاذ التي قبلها.

فبادرت منال وأخذت السيجارة من فمها وقالت:

ستقتلين نفسك، أعرف طريقة أرحم من التدخين للانتحار .

ياسمين...

ليتني أستطيع الموت الآن.

منال...

أخبريني ما الذي جرى وبعدها أنت حرة.

ياسمين وقد أخذت سيجارة من العلبة غير التي أخذتها منال...

أنا أستعين بها لتمنحني القدرة على الكلام، مع أنني كنت

الصديقة غير الوفية لها، فما أن تعرفت على ضياء حتى

ابتعدت عنها كثيرا تباً لي من صديقة لا تعرف الوفاء.

منال...

إذا كان لا بد من ثمن للكلام فيها أنا أتنازل لك، فقط أخبريني

أرجوك.

أشعلت ياسمين سيجارتها وأخذت نفسا عميقا بعمق احتراقها
وقالت...

هو ضياء يا صديقتي.

منال...

وأنا أعرف أن ضياء وحده من يمتلك القدرة على جعلك بهذه
الحال، فما الجديد هيا لا تراوغي.

ياسمين...

ضياء غرر بحنين وجعلها تعشقه.

غيرت منال جلستها لتقابل ياسمين بوجهها وقد فتحت فاهها
متعجبة...

مستحيل وكيف عرفت؟

ياسمين...

هذا ما حصل، وما أخبرتني به حنين.

منال ودون أن تشعر أشعلت السيجارة التي أخذتها من يد
ياسمين مانعةً إياها من التدخين أول مرة...

أستبعد جدا ما تقولين أنا أرى ضياء وعمر قمة الخلق
والرجولة ومن المستحيل أن يصدر منهما أي فعل يسئ لنا.
ياسمين...

حنين لم تكذب طوال عمرها.

منال...

ربما فهمت تصرف ضياء خطأ أو التبس عليها الأمر، فأنا
شخصياً لم ألحظ أي تصرف غير لائق منه اتجاه حنين أو
غيرها.

سأسأل ضياء وأطالبه بالاعتذار لك ولحنين وتوضيح للأمر.

ياسمين...

الأمر أسوء

منال...

لا مستحيل لا تقولي أنه تحرش بها، حينها لن اصدق حتى
حنين نفسها فالرجل لم يعاملنا إلا بكل احترام.

ياسمين...

بل أسوء.

منال قولي قبل أن انفجر.

دخلت حنين تحمل فناجين القهوة لكنها استغربت من
نظرات منال المستغربة لها أيضا، وضعت الصينية على السرير
وقالت...

خالتي ما الذي حصل لك.

لكن منال لم تجبها بحرف واحد وبقيت كأن الطير على رأسها،
ولم ترمش حتى .

ياسمين وهي تخاطب حنين...

اتركينا الآن عندي أمر خاص مع خالتك.

خرجت حنين مع ابتسامة استغراب وأغلقت الباب، لكن
فضولها جعلها تسترق السمع من خلف الباب.

فجأة انتفضت منال من حالة الدهشة والجمود واستدارت
برأسها باتجاه ياسمين وقالت:

أخبريني البقية وبسرعة، ما الأسوأ من التحرش.

ياسمين...

أن تكون حنين عاشقة له.

منال...

مستحيل... مستحيل... مستحيل، أعطني سيجارة أخرى
وبسرعة فقد أذهبت كلماتك كل عقلي.

وبعد أن أشعلتها قالت...

كيف حصل ذلك ومتى ونحن لا نفارق ضياء أبدا وكل لقاءاتهما
تتم بوجودنا وأمام أنظارنا.

فتحت الباب حنين ودخلت وقالت بعصبية:

عندما أخبرتك بعلاقتي بضياء كنت اعتقد أنك أمي
ومستودع سري ولم أعتقد أنك لا تحتملين السر أكثر من
ساعات.

منال مدافعة عن ياسمين:

سأخبرك الحقيقة التي كان يجب عليك أن تترينها كما رأيناها
نحن وشعرنا بها ضياء:

لكن ياسمين تدخلت ومنعت منال من إكمال حديثها وقالت:

لم يعد هناك فائدة من الكلام بهذا الموضوع وعلى حنين أن تقطع علاقتها بذلك الرجل وانتهى الأمر.

حنين:

لست طفلة قاصرة كي تأمريني بهذا الشكل دكتورة.

ياسمين:

أنا أمك ولست دكتورة.

قبل أن تفشي سري دون أذني كنتِ أمي.

خرجت حنين غاضبة وأغلقت الباب بعدها بقوة، كتعبير عن غضبها الشديد.

ياسمين:

أعطني حلال لهذه المشكلة يا منال.

منال:

علينا مصارحة ضياء ومواجهته بحقيقة خداعه وأن نطلب منه إنهاء علاقته بهذه الطفلة.



شوكة الشمس

تغرز في القلب عميقاً

والجرح نازع الكبرياء؛

اتصلت منال بعمر ودون أي سلام طلبت منه أن يلتقوا في
مقهي قريب من شقة عمر وضياء، وبالفعل بعد نصف
ساعة كان الأربعة متواجدين على نفس الطاولة.

كان ضياء يحاول قراءة ملامح ياسمين عله يكتشف المشكلة
بينما أخفضت ياسمين رأسها غضبا وحنقا من ضياء لدرجة أنها
لا تريد رؤية وجهه حتى.

قال عمر مبادرا:

كل شئ بسيط وما بينكما من حب سيكون كفيلا بتذليل أي
مشاكل.

نظرت ياسمين نظرة مرعبة إلى عمر وقالت:

لا نحمل الحب لمن يخون، وقلبي اطهر من أن يلوثه مثله.

نزلت كل كلمات ياسمين على ضياء كالصاعقة، ولكنه
كان يريد فهم الموضوع ومن ثم التصرف إزاءه فهو ذكي
كفاية ليتحمل استفزازات ياسمين.

لكن عمر بطبعه الحاد قال مستهجننا...

لا دكتورة لسنا ممن نخون فلا تتمادى أرجوك.

أمسك ضياء يد عمر الذي بدا عليه الانفعال وقال...

هل من الممكن أن أعرف سبب اتهامك رجاءً.

منال...

كيف ترى حنين؟

ضياء...

هي فتاة رائعة وتستحق الإعجاب.

ياسمين...

أذن أنت تعترف أنها تعجبك.

ضياء...

بالتأكيد تعجبني فهي فتاة مؤدبة ورائعة، ولكن ما دخلها بعلاقتنا.

ياسمين وقد بدا صوتها مرتفعا بعض الشيء

هل أنت أحمق؟

ضياء...

إلى الآن أنا أحمق، لكن أعدك أن ذلك الحمق سيزول قريبا، بعد أن أعرف أسباب تحولك المفاجئ.

ياسمين وهي تشيح بوجهها غاضبة...

اوووووف

نهض عمر وخاطب ضياء...

أعتقد أن علينا مغادرة المكان الآن.

منال...

اجلس يا عمر أرجوك.

ثم وجهت خطابها لضيء:

فهمت سؤالي خطأ، ما أردت قوله أنك... يا الله كيف لي أن
اسأل مثل هذا السؤال، لا أجد ترتيب الكلام .

فقاطعتها ياسمين بعصبية...

هل أنت على علاقة بحنين؟

ضيء...

أي علاقة؟

ياسمين بعصبية أكبر...

غرامية طبعاً.

هز ضياء رأسه وكأنه فهم الأمر وما جرى وقال...

أول مرة في حياتي اتهم بالخيانة، وأول مرة يصفني احدهم
باني رجس من عمل الشيطان. ولكن أؤكد لك أنك مخطئة جدا
بحقي ولن أسامحك أبدا. وأنا أترفع عن الإجابة عن هذا
السؤال، فمجرد سؤالك لي ينهي ما بيننا.

كان عمر ما يزال واقفا فنهض ضياء وغادر الاثنان المكان.

ضربت منال كفيها ببعض وقالت...

أنا متأكدة أن ضياء إنسان صالح، ولن يقدم على أمر كهذا.

نهضت ياسمين وقالت لمنال:

هيا بنا.

وعند باب المقهى كان عمر وضياء يحاولان استئجار سيارة حيث تركز سيارة ياسمين. فصعدت ياسمين ومنال سيارتها دون أن تلتفتا للرجلين، ونفس الحال كان عليهما ضياء وعمر إذ كانا حانقين وغاضبين.

كان وداعا مؤلما كوداع إنسان لأحد أجزاء جسمه في لحظة المعركة في انفجار، وداع مفاجئ دون سابق إنذار ولا مقدمات.



بذرةُ الحبِ
لا تثبت في صخرٍ
اخشي عن مرج
يليقُ بقلبك

في المساء اتصلت منال بعمر تسأله عن حاله.

فكان رد عمر بنوع من الغضب...

كيف خطر ببال تلك المرأة تلك الأفكار السيئة جدا، لا أكاد
أصدق لحد ا لأن دكتورة ياسمين الجميلة والرقيقة تكلمت
بمثل تلك التفاهات.

منال...

تلك الأفكار لم تخلقها ياسمين من فراغ، بل أبلغت بها.

عمر:

وكيف لها أن تصدق واشٍ وشى بابنتها وحبیبها ذلك أمر
تقشعر له الأبدان، فضياء يعامل حنين كابنة له.

منال:

حنين هي من أخبرت أمها أنها على علاقة غرامية مع ضياء.

عمر:

يا الله: معقولة: أكاد اجن.

منال:

يبدو أنك لا تعرف كل شئ عن صديقك.

عمر:

أعرف ضياء وخلقته وأعرف حنين ورقتها، وبين ما أعرف
وما تقولين أنا في دوامة تغرقني بالأسئلة.

منال:

هل عذرت ياسمين الآن؟

عمر ساواجه ضياء وأعرف تفاصيل كل شيء.

رن جرس هاتف ضياء الخلوي فكان المتصل حنين فلم
يرد عليها، فأرسلت رسالة له تقول...

(لا تتمنع علي أرجوك فقط اجبني)

أيقن ضياء أن عليه أن يواجه حنين بقوة كي ينهي آخر آمالها به
فما أن رن هاتفه إلا وأجاب بنعم

ردت حنين مع تمهيدة :

عرفت أنك لن تقاوم رغبة قلبك العارمة بحبي.

ضياء:

أنا أحترم جدا شعورك اتجاهي.

حنين:

لما عذبتني أياما يا رجل أم أنك تريد الدلال، وكأنك تراني
طفلة، لكن بالتدرج سأجعلك تعرف أنني امرأة كاملة

ضياء :

لو سمحت دعيي أكمل لك ما أريد البوح به واعذري صراحتي.

حنين:

لو تعلم كم كنت أنتظر شوقا بوحك لي بما تشعر، تكلم ولن
أزعجك بل أني سأستمع بكل حرف تقوله وسأحفظه عن ظهر
قلبي.

ضياء:

فأما المتعة فأني اشك بان حديثي سيكون ممتعا ، أما حفظ
ما أقول على ظهر قلبك فتلك أمنيقي.

سبق وأخبرتكم أنني أقدر واحترم مشاعرك اتجاهي فتقصير
الأب في ممارسة دوره الأبوي في حياة أبنته حارما إياها من ذلك
الشعور الجميل بالأمان، يخلق فراغا عاطفيا في روح ونفسية
أبنته، لتعود باحثة عمّن يعوض رمز الأب بتلك الروح
والنفسية، لتتعم بالأمان التي تحتاج، وذلك بالضبط ما
حدث لك اتجاهي، فليس من المعقول أن يرتبط رجل في
السادسة والثلاثين من عمره بفتاة تبلغ التاسعة عشر من
عمرها، منافيا كل المعايير الإنسانية والأخلاقية، ليس عيبا

أني أحبك، وليس عيباً أن تحبيني كمصدر يمنحك الأمان،
ولكن كأب وأبنته لا كحبيب وحبيبته.

أغلقت حنين الهاتف ورمته على السرير وانفجرت باكياً، كان
عمر يتكأ على إطار باب الغرفة المفتوح يستمع لكل حديث ضياء
مع حنين والذي أعطى ظهره له الذي ضل منصتا ليقف على
حقيقة الأمر، وبعد أن أغلقت حنين الخط دخل وجلس أمام
صاحبه، وبعد صمت ليس بالقليل كي يرتب كلامه قال:

لما وضعت نفسك بهذا المطب يا صاحبي.

ضياء:

حظي العائر هو من وضع هذه الطفلة في طريق حبي لأمها.

عمر:

أصدقني القول هل كان بينكما حديث حب أو أكثر من ذلك؟

ضياء مع ضحكة ساخرة:

تسألني يا صديقي وكأنك لا تعرفني، السننا من ترك العراق كي لا
نلوث أنفسنا بما لوث به الآخرون أنفسهم.

عمر:

أتعرف معنى أن تكون على وشك أن تفقد أيمانك بشخص تحبه أكثر من نفسك، أتعرف معنى أن تشعر بأن تضحياتك كلها كانت لصديق لا يستحق الاحترام، ذلك ما أحسست به وأنت تتحدث مع حنين، لكن اشكر الله أنك ما خيبت ظني بك و أنجيتني من دوامة الشك الذي اعتراني.

ضياء:

نحن أشرف من أن نغرر بفتاة صغيرة وها أنا أمامك كنت أعيش حالة وفاء لذكرى حب مراهقتي حتى وجدت ياسمين التي أعادت النبض لقلبي.

عمر:

لا تلم ياسمين فحالها أصعب من حالي أنا الذي صدمت بالخبر بعد أن أخبرتني به منال.

ضياء:

وكيف عرفت منال؟

عمر:

ياسمين من أخبرتها به بعد أن علمت من أبتها أنك و إياها على
علاقة عاطفية.

ضياء:

حنين أخبرت أمها أننا على علاقة عاطفية؟، أقسم أنها طفلة
عابثة.

نهض عمر من مكانه وقال بحماس:

سأخبر منال وياسمين بحقيقة الأمر وأوضح لهما الالتباس.

أمسكه ضياء من يده وقال:

لم يعد رأين يهمني انتهى الأمر.

عمر:

أرجوك لا تقسُ على قلبك وقلها ، فالحب كالحياة كلاهما فيه
كبوات علينا تجاوزها فلا تبالغ بردة فعلك.



براءةُ الحبِّ في عينيكِ
كطفلةٍ تنازحُ
بين السماءِ وقلبيها

قررت ياسمين تجاوز خيبتها وان تقف مع أبنتها لتتخلص من
تأثير ذلك الخائن ضياء، فاتجهت لغرفة أبنتها فوجدتها تبكي
بحرقه، جلست بجانبها وضممتها لصدرها وقالت لها:

ما يبكيكِ صغيرتي؟

حنين:

لا أدري يا أمي .

ياسمين:

هل ضياء من أبكاك ؟

حنين :

نعم.

ياسمين:

أعترف لك انه ساحر، لكن عليك التخلص من سحره،
وخصوصا سحر كلمة أحبك، والتي يعزفها لا يقولها. هل قال
لك أحبك يوما؟

حنين:

كان بخيلا جدا بها معي والمرة الوحيدة التي قالها لي قبل لحظات،
وليته لم يقلها.

عضت ياسمين شفيتها بأنيابها، فقد فاق غضبها احتمال قلبها
الطيب لكنها أثرت مصلحة أبنتها، فسألت أبنتها ولم ليته لم
يقولها؟

حنين:

قال أنه يحترم جبي له وأنه يبادلني الحب أيضا لكن كاب وأبنته
وأن علي أن أحبه كأب فقط.

تغيرت ملامح ياسمين من الغضب إلى الاستغراب وسألت أبتها:

يعني أنت من كنت تحبينه لا هو من بادر بإغوائك؟

حنين:

أي إغواء يا أمي أنا من ألححت عليه وكان يتهرب مني بلطف
لكنه جرحني جدا عندما قال أن تقصير أبي وغياب الأب الرمز
جعل روجي تحبه كأب لا حبيباً لكني لا أجيد فهم مشاعري، وأنه
لا يمانع أن يكون أبا لي لا حبيب، ولا أخفي عليك الآن بدأت
افهم أن كلام ذلك الرجل حقيقة كنت أغفل فهمها.

أختلط في قلب ياسمين عدة مشاعر غضبها من غبائها وسعادتها
لبراءة حبيبها من فعل الخيانة وسلامة أبتها، فقبلتها من رأسها
وقالت اندمجي بدروسك يا حبيبي فهي المفروض ما يشغلك
الآن.

حنين:

علي الاعتذار لك يا مي فقد أتعبتك جدا اليوم.

ياسمين:

ليتك أتعبتني فقط يا أبتني لكنك قتلتني.

حنين:

كيف قتلتك يا أمي لم أفهم ؟

استدركت ياسمين ما خرج منها من كلمات في لحظة عفوية

وقالت:

أن تعشقي وأنت في هذه السن الصغير قبل اختمار مشاعرك

ونضوح أحاسيسك وإكمال دراستك.

حنين:

سلامتك أمي وكي أثبت لك أنني تجاوزت غبائي سأتصل بضيء

الآن وأخبره أنني صاحبه كابنة له لا أكثر.

شعرت ياسمين بالخوف الشديد حيث كانت نغمة الاتصال

تذبحها بسكين عمياء خوفا من أن يتفوه ضياء بكلمة فيها حب

لحنين:

بعد أن كررت حنين الاتصال أجاب ضياء:

نعم يا حنين.

حنين وقد فتحت مكبر الصوت الخاص بالهاتف كي تستمع أمها
للمحادثة التي تدور بينهما:

لقد فكرت بكلامك يا ضياء وأعتقد أنك كنت على حق.

ضياء:

ما دمت اقتنعت برؤيتي وكلامي أذن كان عليك أن تناديني (بابا
ضياء)، فلا أعتقد أن فتاة بخلقك وتربيتك الراقية تقبل أن
تنادي والدها باسمه فقط دون أن تسبقه بـ (بابا).

ضحكت حنين وكأنها دخلت في عالم الطفولة وهي تنظر لعيني
أمها التي امتلأت دمعاً:

أنت تأمر يا بابا ضياء، هذه والدتي تريد السلام عليك.

قال ضياء وبقوة:

ليس الآن هناك ما يشغلني، أعتذر علي إنهاء المكالمة لأنني أشعر
بتعب شديد.

أغلق الخط ضياء من جانبه لكنه فتح خطاً آخر من الاستغراب
والدهشة عند حنين فقالت وهي تهز كتفها وتبرز شففتها:

ماله انتفض بسرعة وغادر ليس من عاداته قلة الذوق .

كان كل حرف من حروف المحادثة جلدة من جلدات سوط
تأنيب الضمير، فلم تجد ياسمين غير الدموع تواسي بها حقدتها
على نفسها وغبائها.

نهضت يا سمين وأغلقت بابها وارتمت على السرير الذي تعوّدت
أن تلقي بنفسها بين أحضانه كلما ملأت الخيبة روحها، وصارت
تلوم نفسها أكثر وأكثر وتنعت نفسها بقوة (غبية :غبية) كيف
لم أتيقن وكيف اعتمدت كلام فتاة صغيرة.



أترقبُ سحَابَاتِ حَبِكَ

أَمَطِرُنِي فَرِحاً

فزهرتي في الغياب: ذابلت

رن جرس الهاتف فوجدت المتصل منال فحاولت أن تفتح الخط، لكن ما بها من حزن أثقل يدها، فعادت منال الاتصال مرة أخرى فلم تجد بدا من الإجابة وقبل السلام بادرت منال بقولها:

ياسمين كل ما حصل هو سوء فهم، وضياء بريء، فقد أخبرني عمر بكل ملاحظات ما حصل والموضوع تافه ولا يستحق كل هذا.

ياسمين:

أنا أحقق من على هذه الأرض.

منال:

كان عليك التأكد من حنين قبل أن تتصرفي، على كل حال ضياء
إنسان طيب وسيتفهم ظرفك وملابسات سوء الفهم.

ياسمين:

نشعر بألم كبير عندما يحطم أحدهم سعادة ننتظرها عمرا
كاملا، لكن الأشد إيلاما أن نحطم نحن بأيدينا تلك السعادة.

منال:

أتصور أن الأمر أبسط مما تعتقدين، فاتصال رقيق فيه الكثير
من الهمس الجميل، سيكون كافيا كي يعود الحب يجري في
سواقي القلب.

ياسمين:

أنتعتقدين ذلك؟ أقسم أنا حتى لا اعرف كيف أري الرجل وجهي
بعد أن أسمعني حنين المكاملة التي دارت بينهما وهو يطلب منها
أن تخاطبه بوالدي،

منال:

نقل لي عمر كل ما حصل ولكن من جهتهم أما هذا الخبر يستحق
فنجان قهوة وكلام تعالي نخرج وندعو أحبابنا .

ياسمين:

ليتك تدعينهما سأموت شوقا لرؤية ضياء والاعتذار منه.

منال:

اترك الأمر لي وأنا ضامنة لك الصلح اليوم، فقلب ضياء الآن
يتفطر شوقا لك.

ياسمين:

بل أنا من يتفطر شوقا يا صديقتي، بعد أن أعاد لصحراء روجي
اخضرارها، بكل حماقة أرد جميله بقسوة واتهمه بالخيانة، ليته
يعود الغمامة التي تحيل صحرائي إلى خضراء ثانية.

ضحكت منال من صميم قلبها طويلا مما أثار استغراب ياسمين
فما كانت تتكلم به كلام جدي، فقالت لها:

مالك تضحكين يا امرأة وكأني أطلقت نكته لا أعبّر عن حزني؟

منال:

ضحكت استغرابا مني على هذين الشابين الغريبين، كيف تمكنا
من سرقة قلبينا دون أن نعرف، مع أنهما ليس الأغنى ولا الأجمل
ممن قابلنا.

ياسمين:

ربما هما الرجلان الوحيدان اللذان عرفناهما طوال حياتنا.

منال:

نحن نغرق دون أن نعرف، فصداقتنا تحولت إلى إعجاب وها هي
تتحول إلى حب وبعد ذلك سندمنهما.

ياسمين:

والآن أخبريني كيف استرضي أميرى الغاضب.

عادت منال للضحك ثانية واستمرت حوالي الدقيقتين لدرجة
أن ياسمين صارت تضحك معها كطفلتين عابثتين تضحكان من
كل قلبيهما بعفوية.

أعادت ياسمين سؤال صديقتها الوحيدة بعد أن تجاوزتا نوبة
الضحك تلك:

لما كنت تضحكين؟

منال:

سرعة تغيرك من قدح الرجل ووصفه بالخائن إلى (أميري).

ياسمين:

ذلك هو الحب جنون في جنون.

منال:

صدقتي .

ياسمين:

أتصلي بعمر ورتبي لنا موعدا نعيد فيه النبض لقلوبنا، فقد
اشتقت لسماع نبض قلبي وأنا بالقرب من ضياء.

منال:

دقائق واتصل بك، ولكن سجلي هذه الخدمة في دفتر ديونك
الكثيرة لي.

ياسمين بل سأسجلها على جدار قلبي وذاكرتي فأنت الأوفى
والأصدق بين الناس.

راحت ياسمين تقرض أظافرها توترا وهي تدور في غرفتها الكبيرة
فقد كانت الدقائق تمر عليها كالسنوات بانتظار زمان ومكان
موعدھا المنتظر، وهي تخاطب نفسها:

تركنتي منال أتقلب على جمر الانتظار وهي تغازل حبيها، أقسم
أني سأضربها على مؤخرتها حتى تتورم.

رن هاتفها النقال فصرخت بشغف:

متى وأين اخبريني بسرعة أرجوك.

منال وبصوت يملؤه الخيبة:

رفض ضياء أي لقاء وطلب مني مترجيا أن لا أحدثه بأي أمر
يخصك نهائيا.

ياسمين:

ألهده الدرجة لا أصدق سأتصل به الآن بنفسي.



للكبراء صوتٌ

يصرُّ القلوبَ المنعَبَةَ !!

راحت تكرر ياسمين اتصالها طوال الليل دون ملل من الاتصال
أو البكاء، لكن دون جدوى.

على الطرف الآخر من الهاتف كان ضياء يتقطع ألما مع رنين
هاتفه لكن عزة نفسه ترفض رفضا قاطعا الرد.

تدخل عمر قائلا وهو يرصد معاناة صديقه:

لا تكابر أجب على اتصالها وأنه معاناتك ومعاناة تلك المسكينة.

ضياء:

مستحيل أن يعود ما كان بيننا.

عمر:

أتعتقد انك تستطيع الاستغناء عنها وأنت الذي تبحث عنها عمرا
كاملا، لا تكابر وأرحم قلبك وقلبيها.

ضياء:

تعودت العزلة صديقي عمرا كاملا كما ذكرت أنت الآن، ولن
يفرق عندي احتمال تلك العزلة ما بقي من أيامي القليلة.

عمر غاضبا:

الرجل الحقيقي لا يرضي غروره باستجداء أنثاه له مسترضية
فلا تغير نظرتي عنك أرجوك، أعرفك مسامحا وطيب القلب.

ضياء:

أما سمعت نعوته لي؟

عمر:

وما كنت تنتظر أن تفعل وهي بين نارين حينها لك من جهة وحينها
لأبنتها الغيبية من جهة أخرى.

ضياء:

أتعرف معنى أن أكون صغيرا لتلك الدرجة؟

أتعرف أني عندما لامست قعر احتقارها؟

أقسم أني لن أعود لها يوما.

عمر:

أخبرها أذن قرارك وكن رجلا كما عرفتك.

أخفض ضياء رأسه وكأنه يستجمع كل حلمه وتصبره للرد على اتصالات ياسمين المتكررة.

بعد أن تيقن أنه قادر على الكلام فتح الخط وأجاب بنعم.

قالت ياسمين بعد التأوه:

أه يا ضياء عرفت أنك لن تستطيع تقمص دور القاسي طويلا فأنت لا تجيد التمثيل أبدا.

ضياء:

لكي أتقن دور الرجل الذي لا يرتضي لكرامته الإهانة.

ياسمين:

أعترف لك أني أخطأت بحقك.

ضياء:

وما تكسر بداخلي هل سيصلحه اعتذار؟

ياسمين:

أصلحه لك.

ضياء:

عندما تتشضى القلوب فلا يمكن إعادتها

ياسمين:

أرجوك أغفر لي غبائي. أعترف لك بتقصيري.

ضياء:

فتحت الخط لأخبرك بنفسي أن ما بيننا انكسر يوم خطر ببالك

أني ممكن أن أخون.

ياسمين:

لا تتوقع أن أرجوك أكثر فلست ممن يستجدي الحب.

ضياء:

أذن أنتِ تسهلين علي الأمر؟

ياسمين:

أنت تتركب نفس الخطأ الذي ارتكبته أنا وتعرض ما بيننا للمهدم.

ضياء:

ما بيننا أنهدم وانتهى الأمر، كوني بخير.

ياسمين:

ها أنت تتقن دور الرجل القاسي وأعترف لك بأدائك المميز،
تقتلي وتوصيني بنفسي خيرا، أي مفارقة نعيش.

أغلق ضياء الهاتف دون أن يرد بكلمة ولألم والحرقه يعتصرانه،
وكعادته كان عمرا متكئا على باب الغرفة يلاحظ ملامح صاحبه
فيقرأ الوجع الطافح منها ويستمتع لكلماته التي تخالف ما يشعر
به فقال له:

لا تلقي بلومك على الهاتف المسكين بعصره فلا ذنب له.

عم الصمت المكان فحجم مأساة ضياء لا تحتل الجدل مع
عمر.

قال عمر وهو يستدير بظهره وهو يغادر الغرفة:

أي امرأة هذه التي تحي وتميت.



لو كانا للحب قلباً

لكانا لانت

ولو بقي لي نبض

فليس سواك

اشتعلت ياسمين نارا بعد المكاملة فلم تجد إلا بحر منال تطفئ فيه لهيها وتخبرها ما حصل، فما بها من كلام سيقتلها أن لم تصرخ به وتصرح، وما أن فتحت خط الهاتف منال، حتى انفجرت ياسمين باكية وكأنها طفلة صغيرة تريد لعبة منعها إياها حظها العاثر.

منال:

يا ساتر: ما الذي حصل أخبريني؟

ياسمين:

لقد ذهب دون رجعة، أضعت آخر فرصة لي في الحياة بغبائي
ورعونتي.

منال:

اوووف أقسم أني توقعت أمراً خطيراً.

ياسمين:

وهل هناك اخطر من موت الروح وأنا ما زلت أتنفس فتعود
أنفاسي عبثاً علي.

منال:

أذهبي إليه في شقته فللعيون تأثيرٌ لا يُقاوم وأنا على يقين كامل
انه سينهار أمام سحرك، فكله شوق لك الآن.

ياسمين:

هذا إذلال لي لا يقبله كبريائي.

منال:

كم من حب ذبح على مذبح الخصام بسكين الكبرياء فلا تكوني
حمقاء وتخسري من أحببت.

ياسمين:

لا: لا مستحيل.

منال:

أنت اهتمت الرجل بشرفه، و جرحت كرامته والآن ترفضين
الاعتذار بحجة الكرامة والكبرياء، لم أعهدك غير عادلة يوما،
فلا تكابري أكثر وتوجعي قلبك وقلبه.

ياسمين:

ستأتي معي إذن.

منال:

سأتي ورجلي فوق راسي فقط أنهيها ما بينكما من خصام نريد
لتلك الأيام الجميلة أن تعود.

بدأت حرارة ضياء بالارتفاع فقد ترك الطعام ليومين كاملين، وعمر يتوسل به أن يأكل لكنه يرفض رفضاً قاطعاً، فتدثر بأكثر من بطانيتين وغط بنوم عميق هارياً من جحيم حبه واحتراق أحاسيسه.

شعر ضياء بيد باردة وناعمة تلامس جبينه وصوت يقول له لما لا تأكل أهو بعض الدلال أيها الطفل المشاكس.

فقال ضياء:

أمي: أمي.

الصوت الملائكي:

لِمَ لَمْ تعمل عملية استئصال الغدة؟

ضياء:

لم تعد لي رغبة في العيش، فقد خسرتك والآن اخسر المرأة التي كنت احلم بها وبإنشاء أسرة منها وتحقيق حلمك برؤية أطفالي وهم يركضون حولك.

الصوت الملائكي وهو يداعب شعر ضياء الطويل نسبياً:

هي وعكة عاطفية وسيعود كل شئ لما كان عليه.

ضياء:

كم أشتاق لك يا أمي كم أحتاجك في هذا الظرف الصعب فقد
تركنتي ياسمين وحيدا الهم الصبر .

أجابه الصوت الملائكي:

هل تحبها ؟

ضياء:

انتظرتها حلما أربيه في ذاكرتي جيلا بعد جيل، أنا أذوب بها حبا.

الصوت الملائكي:

وهي تحبك أضعاف ما تحبها، هي تراك شمس بددت ظلمتها
وقمر ينير ليلها.

فتح عينيه ضياء فإذا بها ياسمين تجلس على سريرته وتمشط
شعره بأصابعها وأظافرها المتوسطة الطول وهي تنظر إليه
بحب.

كانت صدمة بنكهة السعادة لكن الرجل أشاح بوجهه عنها.

فقال ت ياسمين وهي مبتسمة:

قد فضحتك الحى، فبحت لي بما تشعر فلا تعاند بغضبك.

ضياء:

لم تفضحني الحى، سبق وأخبرتك بكل ما أشعر، فما قلتة لا
يزيد عن التكرار وزنا ولا يمكن اعتباره سبق صحفي ولا حتى
اعتراف.

ياسمين:

أرجوك انهي هذه اللعبة السخيفة فمقاسها أضيق بكثير من
إدراكنا.

ضياء وقد بدا عليه الغضب:

وأين كان إدراكك هذا عندما اتهمتي بما اتهمتي.

ياسمين وقد نزلت منها دمعة:

وقد اعترفت لك بخطئي.

ضياء:

تحملني النتائج أذن.

ياسمين:

لم أتوقع انك بهذه القسوة، أحببت فيك رقتك ورومانسيتك، لكنك كما يبدو كباقي الرجال، حين الغضب تتشابهون بالحماسة، جئت إلى منزلك مترجية لكنك لم تحترم أنثاك ولم تغفر أثمها، فأين نبلك واحترامك الذي أحببت ، لا أخفي عليك لست ضياء الذي أعشق.



لم تكن تلك قبلة

بل كانت روحا

نقصنا شكل سفين

كل ما محانا انه هو العنا

رفعت ياسمين يدها البيضاء الرشيقة من شعر ضياء ونهضت
بهدهوء، واستدارت خارجة وما أن أمسكت مقبض الباب
لتفتحه، إذا بيد قوية تسحبها بقوة إلى الخلف وهي تستدير،
فوجدت أن شفيتها صارتا أمام شفتيه وكل ينظر في عيني الآخر،
فاستنشقت أنفاسه الساخنة شوقا ولهفة لا بسبب الحى
فقط، بينما أغلظ هو بقبضتيه القويتين على ذراعها
الرشيقتين، لتشعر هي باستسلام لذيذ لضياء الذي غلبه
الشوق، فلم يشعر إلا وشفته تلامسان شفتي ياسمين

الورديتين، فأغمض الاثنان عينهما لتتعطل كل الحواس إلا
حاسة اللمس لتتوجه كل المشاعر لقبلة تطفئ شوق يومين من
الاحترق

ضياء:

أعتذر فقدت تحكمي بمشاعري.

قالت ياسمين التي كانت ترتجف ونبضها يعزف لحنا جميلا
وأنفاسها التي راحت تتسابق بين الزفير والشهيق:
ليتك لم تعتذر.

فأجتاح شفيتها ثانية ولكن هذه المرة مع سبق الإصرار والترصد،
وبكل همجية التتار، كما اجتاح هولاءكو بغداد يوما، فراحت
الشفتان تتعانقان حد التمازج.

تنفس الاثنان بعد تلك القبلة المجنونة والتي كانت تجربة جميلة
لشفتهما اللتين كانتا محملتان شوقا ورغبة طوال أعوامٍ من
الوحدة.

قالت ياسمين وهي تنظر بعينها الساحرتين لضياء:

شكرا لأنك أعدت لي الإحساس بأنوثتي، فقد أضعته منذ أعواما
عدة. حيث كنت مجسم امرأة والآن اشعر أن الدم عاد يجري في
عروق روعي وجسدي معا.

ضياء:

أنت عشتاري التي لا مناص من الخضوع لها، ففي معبدك
تسجد روعي حبا وإجلالا وأتلو صلاتي قبلة على جبينك الذي
هو بلون الفجر فاغفري لي ما سقط من دمع بسبب رعونتي.

ياسمين وقد وضعت خدها على صدر ضياء وطوقت بذراعيها
خصره وراحت أنفاسها تلامس صدره العاري:

إياك أن تتركني ثانية لحماقتي أرجوك كن سيدي ومالك أمري،
كن والدي الذي لا يتخلى عن أبنته مهما أخطأت بحقه.

أخذ ضياء يداعب شعر ياسمين الذهبي ويمطر رأسها بوابل من
القبل الخفيفة ويقول:

أحبك: أحبك.

خرج الاثنان وكانت تلف ياسمين يدها اليسرى الرشيقة حول
خصره بينما لف ضياء يده الغليظة حول كتفها وهما يضحكان.
فصفق كل من عمر ومنال وقد علت وجوه الأربعة ابتسامة
رائعة فقال عمر مشاكسا:

أيها المدعي كدت أصدق انك ستكون رجلا وتقطع علاقتك
بياسمين.

منال:

يا رجل حرام عليك، دع العاشقين يفرحوا بالصلح ولا تمارس
دور العذول.

ياسمين:

لم أعرف رجلا بحياتي أكثر شهامة من ضيائي.

ضياء:

ولا توجد في الأرض إلا أنثى واحدة هي أنت حبيبتي.

منال وهي تخاطب عمر ممازحة:

أن كان ضياء الرجل الوحيد وياسمين المرأة الوحيدة، ترى وما نكون نحن؟

رد عليها عمر ساخرا:

مخلوقات من كوكب المريخ.

أنفجر الأربعة ضاحكين وكلهم فرح وسعادة فقال عمر اليوم سيدعوننا ضياء على العشاء في مطعم فاخر احتفالا بالصلح الكبير ومن ناحية أخرى كي نقبض أتعابنا كمصلحين بينكما.

قالت ياسمين مقاطعة ضياء قبل أن يجيب هو، وهي تنظر لعينه بحب:

بل على حسابي، فأنا من اخطأ وأنا من سيدفع الثمن.

عمر:

المهم أن تدفعوا ثمن أتعابنا أنا ومنال فقد أرهقتمانا بحبكما وخصامكما على السواء.

منال:

علمها التعلم منا طريقة الحب بلا خصام.

عمر يخاطب منال وينظر بعين المشاكس لضياء وياسمين
المختبئة بحضنه:

وهل هناك على الأرض كلها إلا أنثى واحدة. وهي أنت.

فردت عليه منال بنفس الطريقة المستفزة لياسمين وضياء:

وأنت رجلي الوحيد.

ضياء يخاطب ياسمين ساخرا:

على ما يبدو نحن من جاء من المريخ. فعاود الأربعة الانفجار
ضاحكين.



أهريش وروي

جرحتي اسوا لك خيالتي ؟

بعد ساعة كان الأربعة يجلسون في أحد مطاعم دمشق الجميلة، بينما راح منال وعمر يتناوبان برمي النكات هنا وبعثرتها هناك أما ياسمين فأنها قد التصقت بضيء جدا وأحاطها هو بذراعه اليمنى،

ياسمين كانت أكثر من ضحك حينها فسعادتها اكبر من أن يستوعبها خزان قلبها المتهالك، لأنها أهملت ذلك الخزان عمرا كاملا.

تسمرت عيناها منال فجأة وتركت الضحك وأومات برأسها إلى ياسمين أن انظري خلفك.

استدارت ياسمين ووجهها يشع فرحا وقد أحمر من الضحك لتجد أن زوجها السابق أدهم ومعه امرأة يبدو من شكلها و تبرجها المبالغ به أنها شديدة الانفتاح، حيث أن تنورتها القصيرة وجلستها الغير محترمة جعلت أغلب ساقها وفخذها ظاهرين، وفتحة ثوبها عند صدرها أظهرت جل نهدية الكبيرين، أو المكبران اصطناعيا، وبعد أن طلبت (الأركيلة) وهي تتحدث وتضحك بصوت عالي مع أدهم وبطريقة سوقية وغير محترمة.

بعد كل ما رأت ياسمين أعادت وجهها إلى منال وقالت:

أي مصادفة سيئة.

ظهرت ملامح الاستغراب في وجهي عمر وضياء، فلم تتركهما ياسمين في دهشتهم طويلا فقالت:

هو زوجي السابق طلقني من أجل راقصة.

ضياء:

أترغبين بمغادرة المكان؟

ياسمين:

أبدا ذلك السخيف ما عاد يهمني أبدا.

أنقطع حديثهم على صوت جلبية في المطعم، حيث أن أحد معجبي المرأة التي ترافق أدهم أراد التقاط صورة شخصية معها، وبعد أن وافقت بالغ بالتقاط الصور والتقرب منها، مما أزعج أدهم الذي حاول طرده بأسلوب محترم، لكن الشاب ومعه اثنان آخران بدءا بالتطاول عليه و إهانة وجوده من خلال تجاهلهم إياه والمزاح مع من برفقته، وبعد أن تعصب عليهم، أحاطه الاثنان لإخافته وإظهار قوتهم، أما الأول فطلب من تلك المرأة أن ترافقهم وتترك هذا العجوز العاجز عن أرضاء رغبة من مثلها.

وجد أدهم نفسه في موقف محرج فان أهانهم كلاميا ربما يتمادون عليه ويهينوه جسديا، وهو غير قادر على مواجهتهم، فراحوا يستهزئون به .

صاح عمر بصوته الجهوري بهم من مكانه:

المكان محترم ومن يرتادوه أناس وأسر محترمة ولسنا في ملهى ليلى لتعملوا ما عملتم أو تقولوا ما قلتم.

رد عليه أحدهم وهو الذي كان متسيدا لهم ومن طلب الصور:

لا شأن لك ولا تتدخل بما لا يعنيك وإلا ستنال ما لا يرضيك.

نهض عمر بجسمه الطويل وشكله العراقي الواضح وأراد الاستدارة من حول المنضدة ليذهب إليهم، لكن ضياء نهض أيضا ومنعه بقوله:

أعطني فرصة واحدة فقط.

أذعن عمر لطلب صاحبه الذي توجه لهم وقال:

انتم شباب رائعون فلا تتصرفوا بهذا الشكل فتسيئوا لأنفسكم وللعوائل التي في المطعم وسأكون شاكرا لو تجنبتم غضب صديقي وتفهمتم الوضع.

شعر الشبان الثلاثة أن هذين الشابين جديان وأنهم لا ينافسانهم على المرأة وإنما هم انتفضوا لسماع تفاهاتهم وأسلوهم السيئ فرد قائدهم:

سأنسحب من هنا ولكن ليس خوفا.

ضياء وليحفظ ماء وجوههم:

بالعكس انتم أثبتتم لنا أنكم رجال حقيقيون اكرر شكري لكم وتفهمكم لطلبنا.

انسحب الثلاثة بعد أن غمز الشاب إلى المرأة التي مع أدهم
بطريقة تدل على انه يعرض عليها شيئاً ما.



الحي الاحمدار

قدر بلسلم كبرياء

أرئو، بس اقدراح التحانة؟!

كانت ياسمين ومنال قد نهضتا خوفا على ضياء بعد أن توجه
للحديث مع الشباب، وليعرفوا ما سيحصل.

نهض الدكتور أدهم من مكانه ليشكر ضياء لتدخله وإنهاء
موقفه المحرج الذي كان فيه، حيث كان يعطي ظهره لياسمين
التي أعطته ظهرها أيضا عند دخوله فلم يعرفها رغم أنه جلس
في الطاولة المجاورة لها، لكنه وأثناء شكره لضياء لمح ياسمين
المتشحة خوفا فقطع حديثه مع ضياء وقال لها بعد أن اقترب
منها أكثر:

ياسمين! ما تعملين هنا؟

ياسمين بعد أن سحبت نفسا عميقا وأطلقتها متحسرة:
أنا برفقة من أنقذك من وضعك المهين الذي حشرت به نفسك.
أدهم:

أجابها بلهجته المتصلبة كعادته ولكن بصوت واطن:
أتمنى أن لا تفهمي الوضع خطأ، هي مريضة عندي فقط.
انتفضت المرأة التي معه وقالت بصوت عالٍ:

من هذه التي تركتني ورحت تحدثها يا أدهم.
ضحكت ياسمين ساخرة وقالت:

وكل مرضاك ينادونك بأسمك دون لقب دكتور أم أنها
خصوصية تمنحها لمن تشاء يا دكتور.

أستبدل أدهم أسلوبه وتحول لليونة في الحديث:
سأشرح لك فيما بعد.

ياسمين:

(أتستبدلون الذي هو خير بالذي هو أدنى) ، لا حاجة للشرح
فالأمر لا يهمني إطلاقاً.

حملت حقيبتها وخرجت فتبعها كل من عمر ومنال. وبعد أن
وصلت ضياء تأبطت ذراعه بقوة وقالت له بصوت عالٍ كي
تُسمع أدهم:

هيا نخرج أيها الرجل النبيل.

وبعد خطوتين وقفت واستدارت بكل جسمها لأدهم وقالت له:

لك في ذمتي ألف شكرٍ لأنك بسوء اختيارك الغبي لغيري، واللهث
وراء نزواتك أعطيتني الفرصة لأختار الرجل الصحيح، وان
أمارس معه الحياة الحقيقية، بدل ممارسة الموت مع أشباه
الرجال.

خرج الأربعة وضياء كان الأسعد بينهم ، بينما نهضت المرأة التي
كانت مع أدهم وقالت له:

من هذه وكيف تسمح لها باهانتك .

أدهم:

بل أنا من أهان نفسي بعلاقتي معك أيتها الحقيبة. أين كان عقلي
لارتبط بمثلك وأترك تلك الجوهرة ينالها غيري.
أخذت حقيبتها وخرجت مسرعة تاركة أدهم جالسا وحده وقد
وضع يديه على رأسه.

في المرآب حيث سيارة ياسمين متوقفة كان الشباب الثلاثة
مايزالون واقفين قرب سيارتهم الشبابية المكشوفة، وما أن
وصل الأربعة حتى راحوا يرمقونهم بنظرات شذرة تنم عن سوء
نية مبيته، فخلع كل من ضياء وعمر ستراتهم وأعطوها لمنال
وياسمين استعدادا للقتال معهم.

خرجت الراقصة وهي تدير برأسها باحثة عن الشاب الذي
غمزها، وما أن رمقته انطلقت باتجاههم راكضة وهي ترتدي
كعبها العالي جدا، فوجدت نفسها بين الفريقين، وقالت:

لم العراك يا شباب ها أنا الآن معكم فلا تفسدوا الليلة فأمامنا
الكثير من التسلية.

أبتسم الشباب الثلاثة ابتسامة للنصر وصعدوا السيارة
بصحبة الراقصة وانطلقوا بسرعة جنونية مغادرين المكان.

ارتمت ياسمين بحضن ضياء وهي تستشعر دفئه الرجولي
وقالت:

لو تعلم كم كان حجم خوفي عليك يا ضياء.

ضياء:

ليتك تعلمين حجم ما منحني من سعادة وأنت تخاطبين ذلك
الرجل، أعدك أي لن أخيب ظنك يوما ولن أكون إلا أحسن
اختيار كما وصففتني.

عمر مخاطبا منال:

ألا تتعلمين من صديقتك كيف تجعل من حبيبها سيد الرجال
أقسم أي صرت أغار منهما.

منال وهي منذهلة من ياسمين وكيف تحولت إلى ملونة بعدما
كانت قبل ساعات سوداء بلون ليلة اختفى فيها القمر، فكانت
تستمع إلى كلام عمر دون ردة فعل فصرخ بها عمر بعد أن فتح
ذراعيه:

تعالى أيتها الذكية أما فهمت تلميحي.

فارتمت هي الأخرى في حضر عمر ليسجل الكون لحظة التقاء
الأرواح في عالم الحب الجميل والمقدس.

قال عمر مستدركا:

وكيف عرفتن أن هذه المرأة راقصة، أخشى أنكنّ ترتدن الملاهي
الليلية.

أنفجر الأربعة ضاحكين فردت عليه منال:

صورها في الإعلانات أم أنكما لا تتابعان البرامج الفنية

ضياء:

نحن نتابع أخبار حبيباتنا المشاكسات فقط.

أعادت ياسمين رأسها إلى صدر ضياء وقالت له:

كم أحبك.



أخدر في حلمي بأنفاس الياسمين

فروهي بلا عطر

جفان ورياح

رن هاتف ضياء في التاسعة صباحا وكانت ياسمين هي المتصلة،
تخبره عن موعد العملية القادم والذي يصادف بعد أسبوع من
الآن، وأن عليه أن يتجنب أي حمى أو مرض حتى يتسنى إجراء
العملية فأجابها ضياء:

الأمر منوط بك حبيبتي، عليك عدم إزعاجي وتلبية كل طلباتي
وإلا سأمرض حزنا.

ضحكت ياسمين وقالت:

وأنت في عيني يا روعي، أعدك بأن تعرف معي سعادة لم يعرفها
رجل في حياته، لكن أرجوك أن تلتزم بالتعليمات.

ضياء تحت أمرك عشتاري.

ياسمين:

بالمناسبة أنت وعمر مدعوان الليلة عندنا للعشاء.

ضياء:

موافق جدا: هي فرصة للسلام على حنين فقد اشتقت لها.

ياسمين:

هي من دعتمكم الليلة وقالت أريد رؤية بابا ضياء.

ضياء:

سيكون في المستقبل شأن مهم لتلك الفتاة فشخصيتها المرحية وقوتها وجرأة طرحها يسحر.

ياسمين:

أتمنى ذلك من كل قلبي لكن أمنيتي الأكبر أن يجمعنا بيت نحن الثلاثة يوما ما.

ضياء:

وتلك أمنيتي يا حبيبي لكني أراها بعيدة جدا

ياسمين:

لا تياس من رحمة الله وكن فارسي القوي الذي لا يابه لأي
مشكلة تمر به.

ضياء:

لأجل عينك سأكون أقوى الرجال وسأصارع الموت كي أحظى
بأميرتي الحسناء.

ياسمين:

أعرف أن نسبة الثلاثين بالمائة في علاج السرطان تعتمد على
إرادة المريض ورغبته وتمسكه بالحياة.

ضياء:

وأنا بك أقوى وحبك من منحي التشبث بالحياة أكثر.

ياسمين:

أنتظركم في الخامسة مساءً في شقتي.

في الرابعة والنصف مساءً كان عمر وضياء يقفان على الباب،
فتحت لهما حنين وارتمت في حضن ضياء دون مقدمات
وقالت:

اشتقت لك بابا ضياء.

قبلها ضياء من رأسها ودخل الجميع فرحين فاستقبلت منال
عمر وقبلته ، بينما اكتفت ياسمين بمصافحة ضياء، لكن
عيون الاثنين كانت تقبل بعضها شغفا.

قالت ياسمين:

سأعد القهوة هذه المرة وأعطوني رأيكم.

وافق الجميع إلا ضياء الذي ادعى أنه لا يصدق أن ياسمين
تجيد فعل القهوة بنفسها، وحتى بعد أن أقسمت تمسك ضياء
بإدعائه عدم التصديق، فقالت ياسمين:

سأعدها أمام نظرك حتى تصدق إنني اعد القهوة بنفسني.

وما أن دخل الاثنان المطبخ حتى انهال ضياء على ياسمين تقبيلًا
فما كان لياسمين إلا الاستسلام له فقد كانت أشد شوقًا منه

له، لكن منال دخلت فجأة دون أن تعرف فوجدت الاثنان
منغمسان في قبلة رومانسية فقالت:

يبدو أن قهوتكما تعد على نار الشوق لا على النار التي نعرف.

ضحك الاثنان بنكهة الخجل فقال ضياء:

ستنالين جزاء مقاطعتك لعاشقين فآلهة الحب عشتار تراك
وستنزّل بك غضبها.

منال:

الآن فهمت سر تقريع عمر لي، ربما أنا بخيلة معه بالقبل مثل
صديقتي التي لا تتذكرني إلا في حالات الخصام، ليتك أعطيتني
من خبرتك العاطفية قليلا.

ياسمين:

ليست خيرة يا صغيرتي بل هو الشوق الذي يشتعل فلا تطفئه
إلا قبلة الحبيب.



في صرايح الحب

ينصهر من املاك

زماح النبض

رن جرس الباب فأستغرب الثلاثة بمن يكون الشخص الذي
جاء الآن، فسألت منال ياسمين:

أنتنظرين غيرنا ؟

هزت ياسمين رأسها بالنفي فخرج الثلاثة ووقفوا في الصلاة،
بينما أسرع حنين بلهفة لفتحه، حيث كانت المفاجأة الكبرى
خلف ذلك الباب.

كان أدهم يقف خلفه حاملاً باقة من الزهور الفخمة والجميلة
فقبلته أبنته وأستقبلها هو بنوع من الخجل، فأمسكته من يده
وراحت تجره إلى الداخل.

وقع منظر دخول أدهم مع حنين على الجميع كوقوع الصاعقة،
بينما كانت ياسمين أكثر المتأثرين طبعاً.

ألقى السلام على الجميع في الصالة التي تتوسط الشقة فساد
جو من الصمت والترقب، فكل ينتظر أن يبادر شخص آخر
ليبني على أساس مبادرته ردود أفعاله اتجاهه.

رد الجميع السلام إلا ياسمين التي قالت له مخاطبة:

أعتقد أنه كان من اللائق أن تتصل وتأخذ موعداً قبل أن تزورنا.

أدهم بطريقة مؤدبة لم تعيدها من قبل:

لست زائراً إنما أنا مدعو.

ظهر الاستغراب جلياً على ملامح وجه ياسمين التي ردت بسؤال:

(مدعو) !!! ويا ترى من الداعي؟

تأبطت حنين ذراع والدها وأجابت أمها رغم أن السؤال لم يكن

موجها لها:

أنا من دعوت والدي للعشاء معنا.

ياسمين:

كان عليك أخذ رأي أولا.

شعر أدهم بإحراج كبير فقال مقاطعا حنين التي كانت تروم

الرد على أمها:

أنا أعتذر ، يبدو أن وجودي غير مرحب به، استأذن منكم

وأتمنى لكم سهرة جميلة.

أندفع ضياء الذي كان يبعد عن أدهم والذي استدار كي يغادر

المكان فمسك يده من الخلف وقال له:

وجودك سيكون إضافة رائعة أكيد، وكلنا رغبة بالتعرف إليك

فما سمعنا عنك من خير جعلنا متشوقين لمعرفتك أكثر.

قال أدهم مستغربا:

خير!

استدارت ياسمين وغادرت المكان إلى مطبخها وكأنها تعلن رفضها
لتصرف ضياء، بينما استبشرت حنين بتصرف ضياء النبيل
وانبرت بتعريف ضياء وعمر لوالدها:

والدي أقدم لك بابا ضياء وهو أحن الناس علي، وأقدم لك
الأستاذ عمر وهو الأوسم في العالم.

ضحك الجميع على مقال حنين وتصافح الرجال الثلاثة وجلس
الجميع في صمت لا يعرفون في أي موضوع يتكلمون.

بينما لحقت منال بياسمين التي اتجهت للمطبخ لتطفئ نار
حرائقها بإشعال سيجارة ترد إليها بعض اترانها.

دخلت منال وكلها دهشة مما جرى وقالت:

يا لله أي موقف محرج هذا، فكلنا لا نعرف الخروج من هذا
المأزق.

أجابت ياسمين وهي تنفخ دخان سيجارتها بقوة:

كيف لتلك الفتاة الحمقاء أن تقدم على تصرف كهذا؟

منال:

ربما: وربما الفتاة الأذكي في العالم .

ياسمين:

ما تقصدين؟

منال:

يبدو أن حنين اكتشفت العلاقة بينك وبين ضياء وها هي تضع
أباها بينكما

ياسمين:

أنتعتدين أنها ما زالت ترغب بضياء كحبيب لا كأب؟

منال:

ربما نعم وربما أنها لا ترغب إلا بوالدها أن يكون سيد المنزل.

ياسمين:

لم اعد أفهم أي شئ، يكاد راسي أن ينفجر.

منال:

سنفهم كل شئ أجلا أم عاجلا، فقط ما اطلبه منك التحلي
بالكياسة وعدم إخراجنا جميعا بأي تصرف غبي منك أو من
ابنتك.

ياسمين:

تلك الحمقاء أفسدت الليلة.

ضحكت منال وقالت:

هنا بيت القصيد، ثم أنت أخذت حصتك من القبل مقدا يا
محظوظة، أم أنك كنت تطمعين بالمزيد منها.

ضحكت ياسمين وقالت:

هنيئا لك راحة بالك فمزاحك دليل مزاج منتش.

منال:

دعينا نقدم القهوة للجميع.

شكر أدهم ياسمين على غير عادته عندما قدمت له القهوة.

أخذ الجميع أماكنهم حيث جلست حنين بجانب والدها ومنال بجانب عمر إلا ياسمين التي تأخرت لأنها كانت تقدم القهوة حيث لم يتبقى غير مكان واحد هو بجانب ضياء، ولما همت بالجلوس نادتها حنين :

ماما: تعالي اجلسي هنا وأنا سأجلس عند بابا ضياء فقد اشتقت له كثيرا.

ونفضت من مكانها مسرعة وجذبت أمها لتجلسها بجانب والدها الذي بدا عليه السرور، في الوقت التي راحت ياسمين تهز رجليها دليلا على توترها الشديد وهي تخاطب نفسها ليتني أنال سيجارة تعيني على تحمل هذا الموقف الذي وضعتني به تلك الفتاة المشاكسة.

سألت حنين ضياء وقالت:

ألا يليقان لبعضهما ؟ كانا الأسعد دائما لدرجة أن الكل تفاجأ عند انفصالهما لكني على يقين تام أنهما يتحرقان شوقا للعودة زوجان يحسدهما الجميع كما كانا من قبل، أتعرف يا بابا ضياء ؟ ربما أنت الوحيد القادر على التأثير على والدتي.

شعر ضياء أنه في تيه وأن تلك الفتاة الصغيرة تتلاعب به، في الوقت نفسه كانت ياسمين تراقب حنين التي تتكلم مع ضياء الذي لم يكن ينظر لها، حاولت أن تستمع لحديثها لكن بعد المسافة وانخفاض صوت حنين كانا متحالفان على منعها من وصل الصوت لروحها قبل أذنها.

بادر أدهم بمحادثة ياسمين فقال:

كم اشتقت للطعام الذي تعدينه يا ياسمين.

لم ترد ياسمين فجعل ما تملك من جوارح كانت مسخرة لفهم حديث حنين مع ضياء حيث كانت تبدو حنين تتصرف بتودد اتجاه ضياء، وكان واضحاً جداً أن ضياء غير مبال لها، بل كان يعيش جسد بلا روح، فروحه المسكينة تحولت لعصفور صغير رابط عند ياسمين الذي كان زوجها بدوره يتحدث لها بتودد أيضاً.

كانت روحاهما تبكيان وتشتهيان العناق لكن مسافة الثلاثة الأمتار التي بينهما، كانت كبعد قارة أسيا عن الأمريكيتين حيث فصل بينهما محيط الخوف من القادم ومما أعدّ من مؤامرات لقتل حبهما الطري.

تحججت ياسمين بإعداد العشاء ونهضت ساحبة معها منال
التي راحت تجرها خلفها جرا.

دخلت المرأتان المطبخ فاستنجدت ياسمين بسيجارة كانت
متلهفة عليها وراحت يدها ترتجف من شدة التوتر، فقالت لها
منال:

أرجوك حاولي السيطرة على نفسك فالكل لاحظ الوجوم الذي
اعتلى ملامحك.

ياسمين:

كيف وهذا عديم الإحساس يتكلم معي وكأن شيئاً لم يكن بيننا،
سأجن وأنا أشاهد ضياء، يتابع حديثه معي وكأنه سينفجر.

منال:

الحمد لله أنك لم تستمعي لحديث حنين معه.

ياسمين وما قالت له تلك الفتاة؟

منال:

كانت تقول له أنكما كنتما الأسعد في العالم وأنكما ملائمان
لبعضكما وكأنها كانت تستفزه لمغادرة المكان.

ياسمين:

لا أعرف لما تريد تلك الفتاة تخريب علاقتنا بشتى الطرق

منال:

كل شئ سينجلي بعد هذه السهرة وسنفكر بطريقة نبعد فيها
أدهم عن طريقكما.

ياسمين وقد سقطت من عينها دمعة:

يستكثرون علي سعادة في آخر العمر، ليتني أموت وأستريح

منال:

تماسكي ما زالت خيوط اللعبة بأيدينا فكلاهما يلعبان على
استفزازك عليك أن تحبطي مخططاتهما ببرودة أعصابك.

في الصالة تعمدت حنين أن تفتح موضوعا وتجر إليه والدها وكل من ضياء وعمر، حيث تطرقت لتأثير الطلاق على الأطفال ومدى تأثرهم نفسا وعاطفيا على المديان القريب والبعيد.

فسأل أدهم ضياء ما رأيك أستاذ ضياء؟

ضياء:

لم ينفصل والديّ ومع ذلك عشت بلا أب فقد توفي والدي وأنا في العاشرة وتكفلت الحاجة بتربيتنا دون أي مساعدة والحمد لله كنا قدوة لكل الأقارب والجيران ومن عرّفنا، وكذلك صديقي عمر هو بلا أب أيضا ولكن أمه كانت الأب والأم، فالأم أهم من الأب في رأيي المتواضع لان لها القدرة على أن تلعب الدورين معا، بينما يعجز الأب على أن يلعب دوره فقط أحيانا

أدهم:

لا أتفق معك سيدي فللأب دور مهم وحيوي في بناء الشخصية للأطفال.

كان ضياء يجر أدهم لهذه النقطة فهو محاور بارع ليحصل على توثيق من أدهم وبلسانه فقال مجيبا له:

أتفق معك في ما قلت دكتور، لذلك يتحمل الوالدان مسؤولية إنسانية وأخلاقية قبل أن تكون تربوية، تجعلهم يترفعان عن أنانيتهم ونزواتهما الدنيئة من اجل أسرة كَوْنها بقراراً منهما لا فرضت عليهما، ليت كل الآباء يتعلمون منك هذا الكلام ويعونه ويتجنبون و أولادهم كل تبعات الطلاق.

شعر أدهم أن ضياء كان يقصده بكلامه الجارح فائر الصمت لأنه عرف أن هذا الرجل متمكن كلاميا ولن يستطيع أن يغلبه وهو يعرف عنه كل نزواته التي لا يمكن له الدخول في مناقشة دون أن يستعملها الخصم كسلاح ضده.

وصلت ياسمين ومنال للصالة فأراد ضياء أن يطيح بأدهم بالضربة القاضية بعد أن لاحظ تقهقره أمامه وهو الذي كان يريد إحراجه فقال وكأنه يستدرك معلومة لم يكن يعرفها:

أعتذر منك دكتور نسيت أنك مطلق، أعذر غبائي فلساني زلق دائما.

قال عمر مخاطبا ضياء:

ربما علينا المغادرة أشعر بألم في بطني.

فقال أدهم:

ممکن القولون؟

عمر:

صدقت دكتور فقولني يتأثر بمن حوله بشدة، ولا يحتمل أن يتذاكي عليه أحد، وخصوصا من لا يملكون الإحساس هم الأشد تأثيرا علي.

نهض ضياء فالتقط ستارته وراح يلبسها ونظر إلى ياسمين بحب:

نحن نستأذن.

شعرت ياسمين أنها تقف عاجزة أمام تصرف ضياء فما تراها تقول وما تفعل وهي تعرف أن انسحابهما جاء تخفيفا للاحتقان الذي من الممكن أن يتحول إلى ما لا يحمد عقباه فتبعتهما لباب الشقة وسألت ضياء وهي تنظر في عينيه وتبكي:

دعني أغلف لك عشائكما؟

ضياء وهو يزفر:

أنت عندي أهم من الحياة كلها لا بعض الطعام.

ياسمين:

الموند في حضر الياسمين ----- ضرغله علوي

حبيبي يبدو عليك المرض أرجوك خذ الدواء من أجلي.

ضياء:

سأخذ الدواء إكراما لك.



لك سفينه في بحر حائمه رثانها فقدر السيطرة .. مناعري!

غادر ضياء وعمر المكان فتفتح وجه حنين فرحا لأنها حققت ما
كانت تريد،

عادت ياسمين وهي ترتجف غضبا، وقالت تخاطب أدهم:

لم اعرف في حياتي من بقلة ذوقك.

أدهم:

ولم أعرف أما تسمح لنفسها أن ترتبط بعلاقة عاطفية مع رجل
أمام أبنيتها وزوجها.

ياسمين:

أولا أنت لست زوجي بل (طليقي)

ثانيا ما دمت تعرف أي ارتبط عاطفيا مع الرجل كيف سمحت
رجولتك لك بالتقرب مني.

أدهم:

لولا غيابي لما تعلقت بهذا الشاب، هي نزوة علي مساعدتك
للتخلص منها.

ياسمين وهي تهز رأسها متأسفة:

دائما تخطئ بحقي فعندما كنت معك زوجة قتلتي وأنت
تتركي، وها أنت تقتلني ثانية بظهورك في حياتي، لبيتك تفهم
رغبتي بعدم رؤيتك ثانية.

انبرت حنين قائلة:

لكنه أبي وأنا أريد رؤيته.

ياسمين:

لن أسمح له بدخول الشقة ثانية: لن أسمح أبدا.

حنين:

إن لم تسمحي له بالعودة فانا سأضطر للعيش معه وتركك.

ياسمين وقد نال منها الألم والإحباط وهول المفاجئة فافقدها
ذلك السيطرة على الدمع الذي راح ينهمر بكثرة:

معقولة؟ تتركيني من اجل من تركنا وغادر وراء امرأة أخرى
ليتك ترينها (راقصة في ملهى ليلي)

حنين:

عشت معك لان أبي من تركنا ولم يقبل أن يكون ثالث ثلاثة،
والآن أنت من يرفض أن نكون ثلاثة، فأنا أرفض الموقف لا
الشخص.

ضحكت ياسمين ساخرة رغم الدموع:

أنا لا أقبل به كضيف، وأنت تأملين أن يعود ربا للبيت (ألا ساء
ما تحكمون)، اقسام أي لن أكون له زوجة ما حييت.

حنين أذن أجمع أغراضي وأغادر.

لم تحتمل ياسمين الكلام الصادر من حنين فجلست من إعياء
روحها وجسدها معا.

بعد ربع ساعة غادر أدهم وأبنته الشقة وياسمين لا تصدق ما
ترى وما تسمع.

فقال لمنال التي تمسك بيده مواسية:

ما فعلته بي تلك الفتاة فاق ما فعله بي والدها.

منال:

هي تريدكما معا عليك تفهم رغبتها.

ياسمين:

ولما لم تتفهم هي حاجتي ورغبتني، ضياء هو من منحني السعادة
كلها ثم أنا أرفض العيش مع خائن باعني من أجل مومس
رخيصة.

منال:

هي مجرد طفلة عابثة، فكيف تحكمين عليها حكم إنسانة
ناضجة فقط أمنحها بعض الوقت وستعود إليك نادمة.

ياسمين وهي تبكي بحرقة:

وهل سيمنحني قلبي الوقت لذلك، هو أشتعل منذ اللحظة عليها
شغفا ولوعة.

منال وهي تفرك يديها:

كلما أنفج الأمر ظهر ما يعكس صفو حياتنا، ليتك مت يا أدهم
وارتحنا منه.

استدركت منال نفسها وقالت معتردة:

أسفة: قد شتمته دون قصد.

ياسمين:

تعذرين؟ بل ليته مات قبل هذا وكان نسيا منسيا:كم أمقته.

اضطرت منال للمبيت مع ياسمين في الشقة لأنها تخاف المبيت
وحيدة من ناحية ومن ناحية أخرى كانت تمر بأزمة عصبية
ونفسية مما جعل منال تتصل بضيء كي يهديء من روعها.

كان ضياء في موقف حرج فقد كان احد أطراف المعادلة التي
تسببت بمشكلة لحبيته، حيث أنهى الليلة وهو يصبرها ، بينما
راحت ياسمين تنزف روحها دمعا حارقا على أبتها التي لم تفارقها
ليلة واحدة في حياتها.

رن جرس هاتف حنين في السابعة صباحا، وبعد أكثر من مرة
تكرر الاتصال فتحت الخط وأجابت، كان على الطرف الآخر
والدتها تقول صباح الخير، فردت عليها بصباح الخير ماما.

ياسمين:

حان وقت نهوضك للجامعة.

حنين:

لن أذهب للجامعة اليوم فأنا تعبئة جدا.

ياسمين:

سلامتك يا عمري هل أذاك ذلك المتوحش قلبي كان يعلم انه
سيخل برعايتك فهو رجل مهمل للآخرين، ولكن أن يؤذيك
فذلك أمر لا يمكن احتمالاه أو القبول به؟

حنين وهي تضحك ساخرة:

أنت تقولين والدك فكيف يؤذيني، بالعكس كان كما لم أعرفه
في حياتي، كريما ودعاني للعشاء ليلة أمس، وعدنا في وقت
متأخر، لكنني لم استطع النوم لأن فراشي تغير وخصوصا أنني
افتقدت وسادتي.

ضحكت هذه المرة ياسمين ساخرة لكنها ضحكة ألم:

يعني افتقدت الوسادة ولم تفتقدي أمك الحنونة وكيف قضت
ليلتها وفلذة كبدها تبات للمرة الأولى بعيدا عنها؟

أتعرفين أنني أيضا لم أنم، لكن ليس بسبب أنني قضيت ليلتي على
أريكة الاستقبال أو أنني افتقدت وسادة راسي، بل لأنني افتقدت
ثمرة حياتي، عندما غادرنا والدك تأملت كثيرا وكنت أتوقع أنه
أشد من ألمني من الناس، لكنني اكتشفت أن ألم تركه لي لا يعادل
قطرة من بحر ألم تفريطك بي.

حنين:

أنت تفهمين الأمور كما تريد وتريتها من وجهة نظرك فقط،.

ياسمين:

أوضعي إلي أذن كي أفهم.

حنين:

لي الحق في الدفاع عن عائلي، ولا اقبل أن يدخل رجل آخر
حياتنا.

ياسمين:

سيكون ضياء كوالد لك.

حنين وهي تصرخ:

والدي الدكتور أدهم وهو حي يرزق.

ياسمين:

ولكنه تركنا وغادر لاهثا وراء نزواته.

حنين:

وها قد عاد نادما فأعطه فرصة، أمي لو رايته ليلة أمس لما
تكلمت عنه بهذا الشكل، أصبح حنوناً معي ومهتماً بي وكان
يذكرك بالأم.

ياسمين:

كيف أصل من قطعني وباعني بالبخس وقيدني بحزن طوال
ثمانية عشر عاما، وأقطع من وصلني وأحبني أكثر من روحه
وصحته ومنحني كل هذه السعادة، أرجوك يا حنين تفهمني
حاجتي ورغبتي.

لن أعود لأدهم ولن أقطع علاقتي بضياء.

حنين:

أذن أنت من اختار لا أنا.

ياسمين عادت لأسلوب اللين والمهادنة:

أريد أن أراك فقط، أعطني عنوانك.

حنين:

لا أعرفه سأسأل والدي وأرسله لك الآن فقد خرج للعمل.

ياسمين:

أنتظرك على نار.



النبيل:

أول أسباب الحزينة في صراع مع

أسباب الرجال

في العاشرة صباحا استفاق ضياء على رنين هاتفه فقد كان
طوال الليل مستيقظا يكلم ياسمين وأجاب:

نعم تفضل.

كان أدهم على الطرف الآخر:

أنا الدكتور أدهم.

ضياء وقد استقام بظهره واتكأ على رأس السرير وقد بدء المرض
يظهر على ملامحه بشدة:

أهلا دكتور بما أخدمك.

أدهم:

أود مقابلتك في الساعة الخامسة في شقتي وهذا العنوان لو
تكرمت علينا بالحضور.

ضياء:

لما لا نلتقي في احد الأماكن العامة؟

أدهم:

هناك سنكون على راحتنا أكثر.

ضياء:

سأكون عندك في الرابعة عصرا.

أتصل ضياء بياسمين يخبرها ما جرى بينه وبين أدهم من حديث
واتفاق، فقالت له:

سأكون هناك أيضا ولكن سأدخل بعدك بلحظات، كي أفوت
عليه أي لعبة ممكن يلعبها معك.

ضياء:

لن أخل باتفاقي معه أبدا، أنا اتصلت بك كي أستعلم أن كان
اتصل هو بك أيضا فقط.

ياسمين:

قد أنتزع مي حنين وأخذها هناك ولا أحتمل أن اخسر ك أنت
أيضا.

ضياء:

سأعرف نواياه اليوم مع أني اشعر بوعكة صحية وحي لکني
أتحرق لمعرفة ما يريد.

في الساعة الخامسة إلا ربع وصل ضياء لباب العمارة وبعد أن
تأكد من العنوان وقف ينتظر قدوم الساعة الخامسة تماما
لطرق الباب، وبالفعل حصل ما أراد ضياء، فكان طرق الجرس
موازيا لدقات الساعة في الشقة.

وعند أول دقة كان أدهم يفتح الباب بنفس اللحظة فقال له
كنت انتظر صعودك فقد رايتك قبل ربع ساعة تقف عند باب
العمارة وكأنك تنتظر أحدا خيب ظنك بالمجئ.

ضياء:

بل كنت أنتظر قدوم الساعة الخامسة لأطرق الباب فأنا أفي
بعهودي بوفاء الساعة السويسرية ودقتها.

أدهم:

ستسهل علي الأمر لأنك رجل نبيل، تفضل أرجوك بالدخول.

دخل الاثنان وجلسا في الصالة الفخمة للشقة، وبعد لحظات
جاءت حنين بالقهوة التي أعدتها فور رؤية ضياء يدخل العمارة
وقد ارتسمت على وجهها بسمه عريضة وهي تقول:

مرحبا (بابا ضياء).

نهض ضياء مرحبا بحنين وكان التوتر باديا عليه وبعض أعراض
الحمى.

جلست حنين بين والدها وبين ضياء اللذين كانا متقابلين وكأنهما
يبدءان مناظرة كلامية في احد البرامج التلفزيونية.

طلب أدهم من حنين تركهما ليأخذا راحتهما بالكلام

غادرت حنين المكان وهي ترمق الاثنين بنظرها كمن ينتظر أمرا
مصيريا.

قال أدهم مخاطبا ضياء:

عرفت من حنين انك رجل نبيل ومحترم، وذلك ما جعلني ادعوك
اليوم لأناقش معك أمرا مهما ومصيريا لكلينا متمنيا أن تكون
متفهما.

ضياء:

أحترم رأيك بي دكتور وأتمنى أن أكون عند حسن ظن حنين وان
لا أخيب ظنك بقدرتها على تقييم الرجال.

أدهم:

كنا نعيش كعائلة مستقرة ماديا ونفسيا نوعا ما، رغم ما أصاب
علاقتنا كزوجين من برودة المشاعر وانخفاض ، وكان كل شئ في
مساره الطبيعي حتى جاءت تلك المرأة إلى عيادتي فتغير كل شئ.

قأطعه ضياء:

تقصد الراقصة في الملهى الليلي.

أدهم وقد اعتراه الخجل لكنه لم يجد مناصا غير الاعتراف
بذنبه:

نعم الراقصة.

ضياء:

أكمل وأنا استمع لك.

أدهم غيرت كل مسار حياتنا وجعلتني اقضي جل وقتي بين
العيادة وبين لقاءاتي بها، إلى أن حصل الطلاق بيني وبين دكتورة
ياسمين، وبعد حادثة المطعم التي تعرفها أنت والتي لولا تدخلك
وصاحبك لحصل ما هو أسوء يومها، قطعت علاقتي بتلك المرأة
وعرفت أنني كنت املك أفضل زوجة وأجمل ابنة في العالم.

ضياء:

الحمد لله أنك عرفت قيمة ما كان بيدك، لكن لحد الآن لم
أعرف دوري في هذه القصة كلها.

أدهم:

اطلب منك ما يُطلبُ من رجل كريم ونبيلا أن تسمح لي باستعادة
زوجتي وبيتي.



بين الموجِ والجماءِ

نبضة قلب

تُصحبي من تفتت بها .

أطرق ضياء رأسه وكأنه يفكر بطلب أدهم وبعد لحظات من التفكير قال:

أنت تتحدث عن استعدادك لبيتك وعائلتك وكأنها سيارة قد بعتمها وتريد استردادها، وأنت بذلك تهين ياسمين وتثبت أنك لا تأبه بمشاعرها، فالأمر لا يتعلق بك فقط، هناك امرأة لها الحق أن توافق أو ترفض، أما أنا انتظر عمرا كاملا امرأة كياسمين وقد شاء القدر أن أتعرف عليها هنا في سوريا، وأنا فاقد لعائلي ومتغرب عن وطني ، فكانت هي الوطن لروحي وعواطفي، دكتور أدهم أنت من باع تلك المرأة وأنا من اشتري، فلا تجعل قلبي يدفع ثمن حماقاتك ونزواتك، فقد أنفقت من عمري الكثير

وليست ياسمين سلعة لتباع أو أن أمنحك إياها اعتذر جدا لن
أتخلى عن أملي في الحياة، ولكني سأمنحك فرصة أن تقنعها
بالعودة، لتطلب مني وبفسها الانسحاب، حينها أعدك أنني
انسحب من حياتها وللأبد ولا أحاول مقاومة رغبتها أو إقناعها.

نهض ضياء ومشى متوجها للباب ليغادر الشقة فخرجت حنين
من الغرفة وخاطبت ضياء بعصبية قائلة:

أنعتقد أن والدتي تحبك كرجل وحبيب.

وقف ضياء والتفت وقال لها:

وكيف تحبني إذن؟

حنين:

أنما أنت مريض عندها يستحق العطف والشفقة.

ضياء:

قد أكون مريضا ولكن ذلك لا يمنع أن أمارس حقي في الحب وأن
يحبني الآخرون ، وان كانت ياسمين تحبني عطفًا وشفقة فما
حبك أنت لي وأنت تنادييني بالودي، وما حب عمر ومنال لي وهم

أخوتي هل لأنهم يتعاطفوا مع مرضي، حجة أخرى تفشل كما
فشلت كل حيلك الأخرى .

قال أدهم:

هل أنت تكسب مالا يا ضياء ؟ الم تفكر كيف ستزوج من
دكتورة ،وكيف ستوفر لها ولأبنتها العيش الكريم والمستوى
الذي كانتا تعيشانه وأنت مطرود من بلدك وتعيش على معونات
اهلك، أم أنك تراك ستعيش من كد امرأة.

ضياء:

ليس هذا من شأنك لا تستفزني أكثر فغضبي مرعب.

حنين وبطريقة التوسل:

بابا ضياء:أرجوك لا تحرمني عائلي، أنا احتاج أمي فهي أعز ما
أملك في هذه الدنيا.

ضياء:

بالأمس تركتها وغادرت دون أي قدر بالإحساس وكأنك تنتقمين
منها، فقط لأن لها قلبا أحبت به رجلا.

حنين:

أنت تعرف أنني تركتها لأضغط عليها فقط.

ضياء:

أنت قاسية جدا يا حنين. أنتعرفين معنى أن تخيري قلبا بين الموت والموت، أنتعرفين معنى أن تخيري أمك بين الشهيق وبين الزفير، وأنت تعلمين أن الاستغناء عن أحدهما يعني الموت أيضا.

تدخل أدهم هنا وقال:

ممكن أدفع لك ما تشاء مقابل أن تندسحب من حياة ياسمين، وأنا أعلم أنك بحاجة للمال هنا.

عاد ضياء إلى حيث يقف أدهم:

كنت أعتقد أن كل طبيب هو إنسان ، حتى عرفتك فاكتشفت أن بعض الأطباء ملائكة مثل ياسمين ومن هم الأسوء على الإطلاق مثلك أنت.



سبح فارسي سهج
املكت زماح روهي
وكتيبيل
فلكت بالحب قلبك !!

رن جرس الباب فتنجى أدهم واتجه لباب الشقة وفتحه
فاندفعت ياسمين بقوة وهي تبحث ملهوفة عن أبتها
فاحتضنتها وراحت تبكي بصوت عالي وهي تقول:

لم يخطر ببالي يوما أنك ستكونين سببا لموتي، كيف تركتني
أموت ألف مرة ليلة أمس شوقا لك.

شعر ضياء أن عليه أن يتحمل المسؤولية الأخلاقية اتجاه
حبيبته وأن يجنب ياسمين ألم الاختيار بعد أن تأكد أن أبتها لن
تتنازل عن وجود أبتها في حياتهم.

قال ضياء مخاطبا ياسمين:

لن تفترقا بعد اليوم يا ياسمين.

رفعت رأسها من كتف ابنتها فوجدت ضياء يقف خلف حنين
بمسافة لكنها لم تلحظ وجوده لشدة انفعالها وشوقها لابنتها.

قالت:

أكيد لن نفترق فهي ستغادر معي الآن.

حنين: لن أغادر إلا مع أبي وبدونه سأبقى بعيدة.

ياسمين:

لم أؤذك يوما فلا تكوني سبباً في أذيتي.

حنين:

عليك الاختيار فقط مع من ستكملين بقية حياتك.

تدخل ضياء ومسك يد ياسمين ونظر بعينها الدامعتين نزفاً:

سأسهل عليك وأرفع عنك حرج الاختيار.

عرفت ياسمين معنى كلام ضياء فقالت مقاطعة له:

أرجوك لا تقسو علي أنت أيضا، أريدك بجانبني وتقاتل معي كي أستعيد أبنتي.

ضياء:

حروب القلوب خاسرة يا سيدتي، وخصومنا يراهنون على طيبة قلوبنا، فلا تقاومي أكثر واستسلمي لهم.

ياسمين:

تعرف أنني لا أحيأ إلا بك.

ضياء:

وتعرفين أن وقتي قصير في الحياة، فعليك اختيار الأفضل.

ياسمين:

وأنت الأفضل بين الرجال.

ضياء:

للاستسلام طعم الحلاوة أحيانا، عودي لعائلتك واسعدي بها أما أنا فقد كتبت علي خسارة من أحب دائما.

سحب ضياء يديه من يد ياسمين التي حاولت التمسك بهما،
لكن إصرار ضياء على المغادرة كان أقوى.

وصل ضياء إلى باب الشقة حيث كان يقف أدهم فقال له بعد
أن التفت إليه وهو ينظر إليه بكره شديد:

أوصيك بها خيرا واقسم بما بقي لي من أيام أني سأقتلك لو
أغضبتها أو أسأت التصرف معها.

خرج ضياء فوقف أمام الباب من الخارج واستدار ليشاهد
حبيبته للمرة الأخيرة وقد أحمرت عيناها باحترق فؤادها، حيث
كانت حمم الدموع تتساقط من عينيها الواسعتين وهي ترجى
ضياء أن يتمسك بها، فتدخل أدهم لينهي تلك المأساة ويطلق
رصاصه الرحمة على قلب العاشقين فأغلق الباب ليحرم ضياء
حتى من أن يشبع نظره من ياسمين، فهو كالموت ينهي النظر
للدنيا بلحظة ودون رحمة.

قالت ياسمين تخاطب أدهم وحنين وهي تجهش باكياً:

كنتما عليه أقسى من السرطان الذي يأكل أحشاءه.

وكنت أنا اضعف من الدواء الذي أعالج به مرضه.

وكان هو أنبل منا جميعا.



للفقر طعمُ الإسمراقِ كَيْفَ لروحِ أُنْجَمِ مرقس،؟!

كان الليل طويلاً وكثيباً على ضياء وعمر ومنال التي رابطت معهم بعد أن عرفت بما حصل من ياسمين وبعد أن اتصل بها عمر يطلب منها مساعدتها ليثنوا ضياء عن قرار العودة للعراق.

في نفس الليلة أتصل ظافر على هاتف عمر وبعد السلام نهض عمر منسحباً ومغادراً المكان وعاد بعد دقائق وعيناه تذرفان الدموع، فسأله ضياء المحموم مالك تبكي أهي أخبار كل يوم السيئة؟ أما تعودت علمها يا رجل، ليتني مت على يد القتلة هناك في العراق، فهو أهون بكثير من الموت ببطء على يد الحبيب كل لحظة.

أطال عمر النظر في وجه ضياء أكثر وهو صامت إلا أن عينيه
كانتا تثرثران دمعاً.

فقال منال مستغربة:

أول مرة أراك تبكي يا عمر اخبرني أرجوك ما الذي حصل؟

ضياء وهو ينهض بنصف جسمه ويتكى على رأس السرير:

أخبرنا أرجوك فقد أفلقتنا.

حضر عمر ضياء وانفجر باكياً وقال:

عظم الله لك الأجر يا أخي

ضياء وهو في حالة خوف وترقب:

بمن يا عمر؟

عمر بعد ما أستجمع كل قوته:

بوالدتك.

راح الدمع يجري مداراً دون صوت وشفته ترتعشان دون كلام،
فقد كان حجم فقد ضياء لأمه أعظم من أي كلمة يمكن لها أن
تقال في ماتم للروح.

بكي الثلاثة ليلتها كثيرا ولم يبخلوا بالدمع، حتى منال التي لم ترَ
الحاجة أم ضياء كان لها نصيبا في الدمع فقد أبكاها فقد ضياء
لحبيبتيه في ليلة واحدة.



أرى طيفاً البعير

أتلس الروح سخطواج

ونبضي طريق: يسرني إلبس

في الصباح عرفت ياسمين الخبر فحاولت الاتصال كثيرا بضياء إلا انه لم يرد عليها أبدا، فكررت محاولتها هذه المرة ولكن نحو عمر الذي أجيره ضياء على أن يقسم له أن لا يرد على ياسمين أبدا، فلم يكن منها إلا أن تزوره في منزله بنفسها، لكن عمر رفض استقبال ياسمين وقال لها:

اعتقد أن زيارتك له ستؤلمه أكثر، فقد ذبحت بسكين عمياء، أرجوكِ دعيه يعيش ما بقي له من أيام بسلام.

سقطت دموع ياسمين واستدارت فأغلق بعدها عمر الباب، لكنها لم تحتمل شوقها لضياء ورغبتها برؤيته، فعادت تطرق الباب ثانية وبقوة، ففتح الباب عمر وقال بحسرة:

أنت ثانية؟

ياسمين:

أرجوك أريد أن أراه فقط ولو خلسة فأن روحي تفتطرت شوقا
له، اقسام أني لن أزعجه أو أشعره بوجودي حتى.

عمر:

دكتورة انتهى كل شئ والرجل استسلم لمصيره اتركه أرجوك.

ياسمين:

ربما أموت الآن إن لم أره ، وتفعل بي ما فعلت أنا به من ذبح كما
وصفته، فأياً كان ، تكون مجرماً كما أنا أجرمت.

عمر:

هو استحلطني يا دكتورة.

ياسمين:

لا تكن بقسوة القدر الذي فرق بيننا.

وارتمت على يد عمر لتقبلها وهي تقول:

اقبل يدك فقط دعني أراه.

سحب عمر يده من ياسمين التي كانت تروم تقبيلها وهي
تستجديه أن يسمح لها برؤية ضياء وهو يقول:

أستغفر الله أختي.

كان منظر دموعها المؤثر وتصرفها الإنساني كافيا كي يعلن عمر
استسلامه لها فقال:

لم أز في حياتي حبا كحبيكما برقيه وعظمته، وأني لأعجب كيف
للقدر كل هذا اللؤم ليحرمكما من بعض، تبا له وألف تبّ.

أبعد عمر يده من أمام ياسمين سامحا لها بالدخول.

دخلت ووقفت عند باب الغرفة وراحت تنظر لضياء من بعد
ثلاثة أمتار، وقد تدثر بأكثر من بطانية لأن الحمى قد جعلته
يرتجف ولما حاولت الاقتراب أكثر، مد عمر يده مانعا إياها وهو
يبكي صامتا، وقال لها بصوت واطئ جدا:

بيننا اتفاق عليك احترامه.

ياسمين وهي تنظر إلى عمر:

ما أحوجه لي في هذا الظرف.

عمر:

وأنا أكثر من يعرف حجم حاجته لك، لكن علي تنفيذ رغبته
فهذا جل ما استطيع تقديمه له الآن.

جثت ياسمين على ركبتيها وقد أخفضت رأسها وهي تبكي حرقه
وألمأ، وقد زاد كبتها للبكاء خوفا من إزعاج ضياء والتزاما باتفاقها
مع عمر حرقه البكاء واشتعال نارهِ، حيث راحت تنظر إليه تارة
ولعمر تارة أخرى وهي تستجديه أن يتركها توقظه وتواسيه على
فقدهِ أمه، فأخذت تحبو باتجاه ضياء وهي تبكيه وتبكي حالها،
حتى قاربت من لمسه.

قربت ياسمين أنفها من رأسه وراحت تستنشق أنفاسه وقول:

(أفيش يا ريحة هلي)

مد عمر يديه لياسمين لينهضها فرفعت رأسها باتجاهه، لكنه
أشار لها بيديه مقاطعا إياها، ويعني بذلك المستحيل كإشارة.

نهضت وهي تستجمع قوتها بمساعدة عمر وخرجت من الغرفة
تاركة روحها وقلبها عنده.

في الصلاة الصغيرة راحت تتوسل عمر أن يمنحها الفرصة للكلام معه، لكن عمر قال لها:

لم يعد هناك جدوى من هذه العلاقة الرجل مفارقك في كلا الحالتين اذهبي لبيتك وزوجك، واتركي هذا المسكين يواجه سوء حظه العائر، فقد أنتظر ست وثلاثون سنة ليعشق من تنتزع منه آخر أمل له بالسعادة، وتغرس برحيلها عنه آخر خنجر يمكن لقلبه المريض أن يستقبله.

ياسمين:

أرجوك يا عمر.

عمر:

أنا من يرجوك يا سيدتي هو يعتقد أن بتضحيته بحبه سيمنحك عائلة سعيدة، فلا تسخفي تضحيته بدموعك أمامه.

خرجت ياسمين ببطئ وهي تعلم أنها من ساهم بقتل ضياء روحيا وما أقساه من قتل هو قتل الروح، فقد عاشت هي نفسها ذلك الموت البطيء لروحها من طليقها أدهم.



قلوبٌ بيضاء

تعطّرتُ بالحبِّ

كيفُ تحبها

الموتُ في حضنِ الياسمين؟!!

بعد شهر تقريبا رن هاتف ياسمين التي كانت تجلس حزينة في غرفتها وكان المتصل هي منال التي راحت تصرخ وتبكي وتقول:

ضياء في الطوارئ وحالته مزرية .

نهضت ياسمين من كرسمها وصرخت :

وكيف عرفت؟

منال:

ها أنا أتوجه إليه الآن فقد اتصل بي عمر.

وصلت ياسمين إلى الطوارئ وكان ضياء شبه فاقدٍ للوعي حيث
راح يهذي بأسماء وكلمات غير مفهومة.

صرخت ياسمين بعمر:

كيف تركته يصل لهذه الحالة ، كان عليك أن تحضره قبل الآن
بكثير.

نظر عمر إلى ياسمين نظرة ألم وكانت تحمل ألف رسالة عتب
وقال:

كلنا شاركنا بموته كل بطريقته فلا تلوميني يا دكتورة.

كان ضياء مستمرا بهذيانه فحرارته كنت عالية جدا ، فجلست
ياسمين تضع على رأسه قطع القماش المبلل بنفسها وهي تكلمه:

ضياء أرجوك كلمني أنا ياسمين أتعرفني؟

رد ضياء وهو نصف فاقد:

أحبك: أحتاجك: أريد حضنك: أن أشم عطرك.

لم تستطع ياسمين إلا أن تواسيه بدمعها المدرار وأفرغت غضبها على شفتها المسكينة، وهي تستمع لكلماته الموجه لها دون علم منه.

أمرت بنقله للطابق الذي تعمل به وهو قسم متخصص بالسرطان.

بعد أن خفت الحمى أخذ ضياء يصحو من غيبوبته فوجد أول ما فتح عينيه ياسمين جالسة على كرسي أمامه مباشرة وقد غلها النعاس، فحاول جاهدا النهوض فلم يستطع فنادى عليها ففزعت ونهضت إليه تكلمه:

الحمد لله على سلامتك.

ضياء:

الآن قد عدت للحياة برويتك.

ياسمين وقد اندمج فيها شعورين الألم بمرض ضياء وسعادة روحها التي عرفت أنها مازالت حبيبته، مما جعل ملامح وجهها في حالة من الفوضى.

ياسمين:

مازلت مشاكسا كما تركتك آخر مرة.

ضياء:

ومازلت الأجل بين النساء.

ياسمين وبطريقة ساخرة:

أنت تتجاوز حدودك، فأنت تغازل امرأة متزوجة.

ضياء:

هل تزوجت ؟

ياسمين:

نعم.

ضياء:

هل تنامان بنفس الغرفة أم أنكما ما زلتما تنامان في غرفتين

منفصلتين؟

ياسمين:

نحن ننام بنفس الغرفة ونتشارك السرير أيضا.

ضياء:

يعني الرجل ملتزم بما اتفقنا عليه.

ياسمين:

وعلاما اتفقتما؟

ضياء:

أن لا يزعجك أبدا، فقد أقسمت على قتله لو أزعجك يوما.

ياسمين:

كن مطمئنا تغير أدهم جدا وهو اليوم رجل مختلف، فقد أصبح حنوناً وملتزماً.

ضياء:

هل أقمتما علاقة حميمة؟

ضحكت ياسمين ضحكة عالية لكن رغم ضحكتها نزلت منها دمعة ساخنة فأجابت بعد لحظات من الضحك والخجل معا:

مازلت تنال إعجابي كما أول يوم رايتك فيه ، ترى من أين لك كل

هذا السحر؟

ضياء:

أنا بابلي الأصيل، تعلمت السحر من هاروت وماروت.

ياسمين:

عُمرَ رجولتك عشرة آلاف سنة وبعمق التاريخ منذ الأزل.

ضياء:

لم تجيبي على سؤالي.

ياسمين:

وبما سيفيدك جوابي؟

ضياء:

لان امرأة مثلك لا تمنح جسدها لرجل إلا برضاها، ورضاك عن

أدهم سيجعلني أموت مطمئنا على سعادتك، وان تضحيتي لم

تكن بلا فائدة.

أطالت النظر ياسمين في وجه ضياء وراحت تقرأ ملامحه وقالت:

مازلت بطلي أيها الفارس، كن مطمئنا فانا راضية تماما على
أدهم وقد منحته ما يريد من جسدي، لكن روجي ستبقى طائراً
لا يفارق حياض دوحك.

ضياء:

متى سأموت؟

ياسمين:

سلامتك بعيد عنك الموت وشره.

ضياء:

في موتي راحة لي وسعادة لروحي المتلهفة لعالم فيه حضن أمي
فقد اشتقت لها كثيراً.

ياسمين:

ليتني استطعت مرافقتك.

ضياء:

هل حنين سعيدة؟

ياسمين:

سعيدة جدا.

ضياء:

أوصلي لها سلامي وقولي لها (احترم قتالها دفاعا عن أسرتها، وأنا
مازلت أحبها كأب، وليتها تزورني في قبري لأني سأكون بانتظارها)

أجهشت ياسمين بالبكاء فمد ضياء يده ليمسك يدها مانعا
إياها من البكاء ، فسحبت يدها من تحت يده وقالت:

أنا امرأة متزوجة الآن.

ضياء :

كل ما يصدر منك يدعوني لاحترامك.

متى سأموت؟

ياسمين:

أيهمك التوقيت؟

ضياء :

جدا.

ياسمين:

أتحتمل صراحتي الطيبة؟

ضياء:

أكيد.

ياسمين:

توقفت كليتك وكبدك بسبب انتشار السرطان في كل جسمك.

ضياء:

كم يوم.

ياسمين وقد عاودت البكاء بصوت عالي:

ربما صباح الغد في أحسن الأحوال.

ضياء:

كم الساعة الآن؟

ياسمين:

الحادية عشر ليلا.

ضياء:

أريد أن استقبل الموت كرجل حقيقي.

ياسمين:

أنت أرجل من عرفت بحياتي، حتى الموت لا تأبه له.

ضياء:

أريد منك خدمة أخيرة تمنحنيها لمن احبك حد انه فضل الموت
في سبيل سعادتك؟

ياسمين وهي تمسح دمعها:

وأنا تحت أمرك مادام الأمر لا يمس زوجي واحترامه.

ضياء:

ولست ممن يجعلك تخطئين ولو معي.

ياسمين:

وأنا على ثقة من ذلك ، هيا أخبرني ما تريد.

ضياء:

أريد أن استقبل الفجر من فوق جبل قاسيون وأن أنام على ورد
ذلك الجبل الجميل لحظة أن تفارق روحي هذا الجسد، فأني
حرمني القدر من حضن حبيبتي ياسمين، أريد تعويضه بحضن
ورد الياسمين.

ياسمين:

لك ما تريد يا ضياء.

خرجت ياسمين ونادت كل من منال وعمر وأخبرتهم برغبة ضياء
فعض عمر على شفتيه وهو يعتصره الألم وقال:
لنعمل له موتا يليق بفارس حقيقي وإنسان محترم.

منال:

سأحصل على موافقة رئيس القسم هاتفيا.

لكن ملامحها تغيرت وهي تخاطب رئيس القسم وبعد لحظات
قالت:

الدكتور نادر يرفض خروج ضياء من المستشفى.

ياسمين:

أعطني إياه اكلمه.

لم تفلح ياسمين بإقناعه وقال لها:

أذا قمت بإخراج المريض أحبك للتحقيق.

فقالت له بعصبية وكأنها جنت:

تبا لك ولتحقيقك أذن.

انطلق الأربعة في سيارة ياسمين وضياء يصارع الموت حتى وصلوا
أعلى جبل قاسيون، فحمل عمر صاحبه وأخيه على ظهره
ووضعه على مرج من زهور الياسمين البيضاء، وراح يقول:

هذا ما طلبت يا أخي ولن أمل من خدمتك ما حييت، ثم رفع
رأسه إلى الأعلى مخاطبا روح الحاجة أم ضياء وهو يجهمش
بالبكاء:

هذه الأمانة التي ائتمنتني أمها أودعها الآن عند ربها، وأعترف أنني
لم أكن عند قدر المسؤولية وأعترف بفشلي بحمايته من نفسه
ومن غيرها، اللهم أغفر تقصيري اتجاه أخي.

انسحب كل من منال وعمر ليتركوا للعاشقين المجال للكلام،
ويمنحوهما قدسية آخر لحظاتها معا.

قال ضياء مخاطبا ياسمين:

أريد أن أرى الفجر.

فرفعت ياسمين رأسه ووضعتة في حجرها حيث قارب الفجر
على البروغ، فقال ضياء وهو يتكلم بصعوبة بالغة:

قولي أحبك

ياسمين وهي تنظر بعينيه:

ليتي أستطيع ولكن الرباط المقدس يحرمي من الكلمة التي لم
أتذوق نشوتها إلا معك و لك.

فقال ضياء بصعوبة أكبر وكأنه يتلفظ الحروف لا الكلمات فقد
أصبحت الكلمة أكبر من قدرته على النطق:

قَلبي .. الروح

كلها أثار حيك

ظاهرها وباطنها

وكلي بك يذوب

تعالی

رتقي ثقوب الروح

التي بغيرك لا تنتخي

وأطفئي ناري

التي بغير وصالك لا تنطفئ.



تعالى:

فرضاب التفتين قد اتمتر قبله

ولغير شفيت

للانتهى

ترددت ياسمين وقالت له:

أنا امرأة متزوجة الآن ولا يحق لي أن أقول لغير زوجي هذه الكلمة ، ولا أعتقد أنك ترضى لي أن أكون خائنة.

ضياء وقد بدا عليه انه يصارع أنفاسه الأخيرة:

لا تبخلي علي بكلمة، فحتى من يعدم تلبى آخر طلباته، وأريد أن تكون (أحبك) من فمك، آخر ما أسمعته في هذه الدنيا.

رفعت ياسمين وجهها إلى السماء وقالت:

يا إلهي أي اختبار هذا الذي أنا به. وأي معادلة هذه التي وضعتي بها القدر، فعلي الاختيار بين أن أخون حبيباً وفيماً وأحرمه من أجمل كلمة وقد نال استحقاقها وبجدارة، وبين الوفاء لرجل خانني بكل قذارة.

بزغ فجر يوم جديد وراحت أشعة الشمس تنتشر على جبل قاسيون وياسمين منيرة بهذه الصورة الملائكية الرائعة وكأنها لحظة ربانية مقدسة، وفي الوقت نفسه تفكر بما طلبه ضياء، وكان في داخلها قلب ينبض صارخاً أحبك ففكرت أن تلي طلبه فقالت له:

أحبك:أحبك:أحبك.

فأكملت حديثها:

كنت أنتظر منك قصيدة بعد سماعك ما طلبت، ولم أتوقع صمتا كهذا.

لكن ضياء لم يجيها، فأنزلت عينها إلى وجه ضياء الذي كانت قد وضعت رأسه في حجرها فوجدته قد فارق الحياة دون سماع الكلمة التي أرادها فقالت:

ما أكرم قسوتي عليك وما أكرم سوء حظك، فقد بخلت عليك حتى بكلمة. فصرخت بأعلى صوتها:

أحبك.



الدار الجامعية للطباعة والنشر والجرمنة



[[مشروع المئة كتاب]]

دعماً للجهود الاكاديمية والعلمية وتقديم التسهيلات للاساتذة المؤلفين الافاضل يسر الدار الجامعية طباعة ١٥٠ نسخة وباسعار تنافسية جداً حيث يطبع الغلاف ملون ومسـلفن والمـتن اسود وابيض على ان لايتجاوز ٢٥٠ صفحة وبقياس B5 . وكذلك طباعة الرسائل والاطاريح وباسعار مخفضة لطلبة الدراسات العليا. تشجيعاً لحركة التأليف والنشر لكافة التخصصات العلمية والانسانية.

www.bookstore-mohesr.gov.iq

bookstore.ppt@gmail.com

0770 780 8343

